جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

شخصية نوح -عليه السلام -
في القرآن الكريم

إعداد

حسن محمد حسين زغل

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية،نابلس، فلسطين.

2008م

شخصية نوح -عليه السلام -

في القرآن الكريم

إعداد

حسن محمد حسين زغل

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2008/1/21م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1 - د.محسن سميح الخالدي /مشرفاً.	....
2 - د. إسماعيل أمين نواهضة /ممتحناً خارجياً	....
3 - د. خالد خليل علوان / ممتحناً داخلياً	....

من الدستور الإلهي

قال تعالى:﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[هود:120].

وقال تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف:3].

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف:111].

الإهداء

إلى النور الذي اتبعناه، إلى المُترعِ عظمة، وأمانة، وسمواً.

إلى محمد رسول اللهﷺ، الذي جمع الله له من رؤية الحق، ورفعة النفس، ما شرفت به الحياة، وأضاءت به مقادير الإنسان...!

إلى نبع المحبة والعطاء....(أمي وأبي) الحبيبين.

إلى زوجتي الوفية(أم عكرمة) التي شاركتني هموم الحياة، وصبرت معي على شدائد العلم والتحصيل، فكانت لي بعد الله نِعمَ المؤازر والمعين.

إلى فلذات كبدي.. ورياحين قلبي.. أبنائي الأعزاء (عكرمة،و ساجدة، و أبرار، ومحمد)جعلهم الله ذخراً للإسلام والمسلمين.

إلى كل ذي فضل ومن له حق عليّ.....مشرفين وأساتذة ومعلمين.

إلى كل هؤلاء ...... أهدي هذا البحث المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله في الأولى والآخرة على ما أنعم به ومنَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة، واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقاً من قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل:40] ومن الهدي النبوي في شكر الناس، لقوله -عليه الصلاة والسلام -:(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1] فإني أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لفضيلة الدكتور: **محسن سميح الخالدي**، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأحاطني بعنايته ورعايته ولطفه، ولم يبخل عليَّ بأي نصح أو توجيه أو إرشاد، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الدكتور **محمد السيد**، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته سواء في إعداد الخطة للرسالة أو في اختيار عنوانها ولا يفوتني أن أعرب عن جزيل الشكر لكل من الدكتور: **إسماعيل أمين نواهضة**، والدكتور: **خالد خليل علوان** - أعضاء لجنة المناقشة - لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة. جزاهما الله عني كل خير كما وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة وأخص بالذكر الأساتذة الأفاضل :

الأستاذ: **محمد عبد الفتاح يوسف**، والأستاذ: **محمود رياض أبو عبيد** والأستاذ: **أحمد نصري جردات** وابن أخي السيد: **محمد فضيل زغل** لما قدموه لي من الإشراف والعمل على طباعة هذا البحث، وأتقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى الإخوة القائمين على مكتبة مسجد جنين الكبير والعاملين فيها.

وختاماً لا أنسى أسرتي في مدرسة الإيمان الأساسية إدارةً وأكاديميين، وعاملين، وأخص بالشكر الأستاذ: **نائل علي عمور**(**مدير المدرسة**)، وذلك لما بذلوه لي من حُسن رعايةٍ، وتشجيعٍ، واهتمامٍ بالغ. فجزاهم الله عني كل خير.

والله ولي التوفيق.

[1] - رواه الترمذي. كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم(1954) وقال:حسن صحيح. انظر. الترمذي: محمد بن عيسى (ت:279هـ): الجامع الصحيح (5مج) دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط1 تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون (339/4) وسأشير إليه فيها بعد هكذا (الترمذي: سنن الترمذي).

فهرس المحتويات

شخصية نوح -عليه السلام -

في القرآن الكريم

إعداد

حسن محمد حسين زغل

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

نوح عليه السلام هو أول رسول بعثه الله -تعالى -إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام[1]. أرسله الله - تعالى - إلى قومه؛ ليأمرهم بعبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه من أصنام ونحوها، وخوّفهم من عذاب الله إن خالفوه ولم يؤمنوا به، لكنهم استمروا على كفرهم.

وقد لبث نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، وجادلهم وجادلوه في دعوته، ومع هذا كله لم يؤمن من قومه إلا قليل، وحوت قصته عليه السلام دروساً وعبراً وفوائد ذات قيمة عظيمة للدعاة العالمين، وللمؤمنين المتقين. وقد أخبره الله -تعالى - بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، -وهم قلة كما قلنا - وحينئذ دعا نوح على قومه فقال الله - تعالى -عن دعاء نوح:﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح:26 -27].

قال ابن كثير:" وإنما دعا نوح على قومه بهذا الدعاء لخبرته بهم، أي لخبرته بقومه، ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً"[2]. وقد نقل القرطبي عن الضحاك أن الله - تعالى - أخبر نوحاً عليه السلام بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فدعا عليهم نوح عليه السلام[3].

---

[1] - ابن كثير. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر(ت:774هـ) **تفسير القرآن العظيم**(4مج) دار الفكر(بيروت)(بلا)ط :1401هـ -1981م (223/2).

[2] - المصدر السابق (427/4).

[3] - انظر. الطبري. أبا جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ) **جامع البيان في تأويل آي القرآن**(101/29) القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (29/9).

وقد استجاب الله -سبحانه وتعالى- دعوته فأمره بصنع السفينة، فلما أتمَّ صنعها، وحان وقت هلاكهم بالغرق أمره الله -تعالى- بأن يحمل فيها ما أخبرنا به، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[هود:40]، وهكذا أهلكهم الله بالغرق بعد أن أمهلهم هذه المدة الطويلة؛ لأن الله -تعالى- يمهل ولا يُهمل، وهذا جزاء الظالمين الكافرين.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده - تعالى - حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيـده، وأصلي وأسلّم على سيدي ومعلمي، مُعلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين وختم برسالته رسـالات الأنبياء، وبشريعته شرائعهم، وأكمل له الدين، وأتمَّ به عليه النعمة سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمـد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسار على دربه إلى يوم الدين.

فمن أجمل ما تضمنته موضوعات القرآن الكريم قصصه الرائعة التي تتناول سير الأنبياء والرسل، والأمم والشعوب، والملوك والحكّام، والتابعين والمتبوعين، وغير ذلك مما يفيض بـه هذا الكتـاب الحكـيم الـذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[فصلت:42].

ولا يوجد أروع من قصص القرآن لأنه الحق الذي لا باطل فيه، إذ فيها دحض لما يتقوّله بعض المغرضين من أعداء الإسلام الذين يزعمون أن قصص القرآن يعارض الواقع ولا ينبغي أن نتخذه مصدراً للتاريخ.

وهذا محض افتراء، لأن القرآن نزل من عند -الله تعالى-، وهو الخبير بأحوال عباده أزلاً وأبداً.

والحقيقة الدامغة أن قصص القرآن صدق وحق وأن علم الآثار والدراسة المنهجية للتاريخ يكشف للعلماء المختصين صدق الرواية القرآنية.

إن قصص القرآن الكريم خير ما يلتمسه القارئ من القصص، لأنه القصص الهادف الـذي يجمع إلى جلال الموضوع صدق الهدف وروعة المعنى وجمال التعبير وحسن الأداء وقـوة التأثير، إن قصصه تأخذ بمجامع القلوب وتستولي على الألباب والعقول، وتأسر القارئ بجمالها وجلالها.

لقد ورد القصص القرآني في آيات عديدة من سور القرآن الكريم، وأخذ مساحة واسعة من القرآن، وقد كان من أهم أقسام هذا القصص القرآني، وأوسع أبوابه: قصص الأنبياء والمرسلين.

وأخبرنا الله -تعالى- أن قصص هؤلاء المرسلين والأنبياء العظام في القـرآن هـو أحسـن القصص، وهو القصص الحق، وأخبرنا أن القصص القرآني ليس لمجرد التسـلية والاسـتمتاع، وإنما هو لتحقيق أهداف علمية وفكرية، وتربوية ودعوية.

إن السامعين يتفكّرون عندما يسمعون قصص القـرآن:﴿... فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:176].

وإن أولي الألباب يعتبرون من قصص القــرآن: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ...﴾[يوسف:111].

وان الدعاة يزدادون ثباتاً على الحق، وإصراراً على مواجهة الباطل، عنــدما يطَّلعــون على مواقف الأنبياء والمرســلين مــن أقــوامهم ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ...﴾[هود:120].

ومن هؤلاء المرسلين النبيين، والدعاة إلى الله المخلصين:(نوح ﷺ)، هــذا الرســول الكريم الذي قام بواجب الدعوة إلى الله -تعالى- على أكمل وجه، وبلّغ قومه الدعوة كما أمــره الله.

وقد سلك معهم مختلف الأساليب والوسائل في دعوتهم إلــى الإيمــان بــالله -تعــالى- وعبادتهم إيّاه وحده، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلوا عن الباطل، ويتّبعوا الحق.

وقد استغرقت هذه الأساليب - من الجهر، والعلن، والسر - وقته كله، في ليله ونهاره، كما أنه استمر على هذه الأساليب ﴿... أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ...﴾ [العنكبوت:14].

إنه بذلك يكون قدوة للدعاة إلى الله، الذين كلّفهم الله بواجب الدعوة، وتوظيــف أعمــارهم التي لا تتعدى عشرات السنين في أداء هذا الواجب.

وقد أخبرتنا آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن الرسول الداعية، الذي ثبت على دعوته إلى الله، وتحدى قومه، وواجههم، ووقف أمامهم بكل صبر واستعلاء، فما هو السر فــي قوة نوح ﷺ، الذي دفعه إلى هذا التحدي، وهذه الثقة؟ وما هو مصدر قوة نوح ﷺ الذي دفعه للوقوف أمام جمعهم وحشدهم، بكل ثبات واستعلاء؟.

لهذا أحببت أن أبرز ملامح شخصية نوح ﷺ، وأجمع شتات الكلام عنه فيما تفــرّق فــي الآيات والسور القرآنية حتى أعطي صورة شمولية عن هذه الشخصية العظيمة.

أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه:

1- نوح ﷺ هو أول الرسل الكرام إلى الأرض، وأحد الأنبياء العظــام المــذكورين فــي القرآن الكريم، ممّن أمرنا بالإيمان بهم، والاقتداء بهديهم.
2- يُعد نوحٌ ﷺ نموذجاً متميزاً في الدعوة إلى الله .
3- كثرة المواقف والمشاهد التي تحتاج إلى تحليل وتوجيه، مما يخصُّ هذا النبي الرسول مما ورد في القرآن الكريم.

4- نوح عليه السلام هو أول من سلك في طريق الدعوة إلى الله مختلف الأساليب والوسائل الدعوية في الإقناع والتأثير.
5- نوح عليه السلام هو أطول الأنبياء عمراً في الدعوة، والمدّة الزمنية، والحصيلة الإيمانية لدعوته عليه السلام ما عرفتها البشرية من قبله ولا من بعده.
6- قدرة نوح عليه السلام على دحض شبه قومه، ودفع حججهم وافتراءاتهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

الدراسات السابقة:

لم يقع تحت يدي دراسة مستقلة وافية عن هذا النبي الرسول ، سوى ما كتب مفرقاً في كتب التفسير، والقصص النبوي، والتاريخ، وغيرها، وقد بحثت من خلال شبكة المعلومات، واتصلت بمكتبة الجامعة الأردنية فلم أجد أحداً قد كتب في هذا الموضوع تحت هذا العنوان.
وهذا لا ينفي أن أحداً من طلبة العلم قد كتب في هذا الموضوع من قبل ذلك.

منهج الدراسة والبحث:

اتّبع الباحث منهجية التفسير الموضوعي، فجمع الآيات التي تكلمت عن نوح عليه السلام ونظر في شخصيته كما صورها القصص القرآني، متبعاً في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي، فقام بتحليل وتوجيه المواقف التي أوردها القرآن الكريم عن شخصية هذا النبي الكريم، والتي هي بحاجة لتحليلٍ وتوجيه باذلا في ذلك وسعه وجهده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
1- جمع كل ما يتعلق بهذا الرسول الكريم من القرآن الكريم، وذلك بالاستعانة بالمراجع المختصة بذلك.
2- الرجوع إلى أمات كتب التفسير - القديمة منها والحديثة - لمعرفة ما كُتب عن هذا الرسول الكريم.
3- الرجوع إلى كتب أهل الكتاب - خاصة التوراة - ومقارنة ما ورد فيها بما جاء في القرآن الكريم.
4- عدم الاعتماد على الروايات الإسرائيلية إلا ما أذن لنا فيه شرعنا.
5- الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم، لمعرفة معاني الألفاظ الغريبة، والمفردات التي تحتاج إلى بيان.
6- دراسة الوقائع، وتحليل الأحداث، وعدم الاكتفاء بالسّرد القصصي.

7- توثيق النقول توثيقاً كاملاً، وعزوها إلى المصادر الأصلية. والمصدر الذي يرد ذكره لأول مرة أوثقه كاملاً في الهامش وإذا تكرر اذكره مختصراً بذكر اسم الشهرة للمؤلف، واسم الكتاب، ورقم الجزء و الصفحة.

8- وضع الكلام المنقول حرفياً بين شارتي تنصيص" "، وما نُقل بالمعنى اصدّره بـ (انظر).

9- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

10- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها. وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذلك. فإذا كان في أحدهما لم أتجاوز ذلك. فان لم يكن: تتبّعته في السنن الأربعة ومسند أحمد. فإن لم أجده فيها ذكرت مصدره الذي ورد فيه.

والحديث الذي في الصحيحين أو أحدهما لا أحكم عليه اكتفاء بما أطبق عليه عامة العلماء من صحة ما ورد فيهما، فان لم يكن في الصحيحين اكتفيت بعزوه إلى مصادره.

11- ترجمة مختصرة لبعض الأعلام المغمورين غير المشهورين عند ورود اسم العَلَم لأول مرّة.

12- تقسيم البحث إلى مجموعة من الفصول، والمباحث، والمطالب.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة وفقاً لما يأتي:

- في المقدمــة ذكرت أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة التـــي اتبعتهـــا، وخطة البحث.

- وفي التمهيد: تناولت فيه ثلاثة مباحث:

المبحـــث الأول: تعريـــف القصـــص القرآنـــي فـــي اللغـــة والاصـــطلاح.

المبحـــث الثـــاني: أهـــداف القصـــص القرآنـــي وفوائـــده وبيـــان أحوالـــه.

المبحـــث الثالـــث: مقارنـــة بـــين القصـــص القرآنـــي والقصـــص الإنســـاني.

الفصل الأول: التعريف بنبي الله نوح عليه السلام وبيان خصائصه، وتناولت هذا التعريف فـــي ثلاثـــة مباحث:

المبحث الأول: نسب نوح عليه السلام (نسبه، وأسرته، والبيئة والمكان اللّذان عـــاش فيهمـــا، وعمـــره ووفاته).

المبحث الثاني: خصائص نوح عليه السلام ومعالم شخصيته،(خصائصه، ومعالم شخصيته).

المبحث الثالث: علاقة نوح عليه السلام بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.

الفصل الثاني: كفر قومه له وتكذيبهم إياه، وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كفر قوم نوح عليه السلام وهل أرسل إليهم نبي غيره؟

المبحث الثاني: تكذيب قوم نوح عليه السلام وعنادهم.

المبحث الثالث: جدال قوم نوح عليه السلام.

وفي الفصل الثالث: تحدثت عن دعوته عليه السلام ، و قسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: نوح الداعية.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من قصة نوح عليه السلام.

وفي الخاتمة: ذكرت بإيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وهذا الذي بذلته من الدراسة والبحث، هو جهد المقل إن أحسنت فيه فمن الله، وله الحمد والمنّة، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله العظيم على ذلك.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلني مـــن طلبـــة العلم العاملين، والدعاة المخلصين، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً إنه ســـميع مجيب.

التمهيد

التعريف بالقصص القرآني وبيان أهدافه وأحواله

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف القصص القرآني، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف القصص القرآني في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف القصص القرآني في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أهداف القصص القرآني وفوائده وبيان أحواله، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أهداف القصص القرآني وفوائده.

المطلب الثاني: أحوال القصص القرآني.

المبحث الثالث: مقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: خصائص وميزات القصص القرآني.

المطلب الثاني: خصائص وسمات القصص الإنساني.

المبحث الأول: تعريف القصص القرآني، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف القصص القرآني في اللغة.

جاء في المعجم لابن فارس في مادة:قصَّ:

" القاف والصاد: أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبّعته. ومن ذلك اشتقاق القِصاص في الجراح، وذلك أنه يُفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتصَّ أثره. ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر.

وأما الصدر فهو القصُّ، وهو عندنا قياس الباب، لأنه متساوي العظام، كأن كل عظم منها يُتبع للآخر.

ومن الباب: قصصت الشَّعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها"[1].

مما سبق نخلص إلى ما يلي: أن كلمة**(قصص)**: تقوم على التتبع، سواء كان هذا التتبع مادياً كقص الشعر والعظام، أو معنوياً: كقص الأخبار وذكر الروايات.

المطلب الثاني: القصص القرآني في الاصطلاح .

جاء على لسان كثير من العلماء تعريفات كثيرة للقصص القرآني وكلها متقاربة.

من هذه التعريفات:

تعريف مناع القطان، قال:" قصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة. وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[2].

---

1 - ابن فارس. أبو الحسين احمد، (ت:395هـ) **معجم مقاييس اللغة،** (6مج) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2 :1392هـ - 1972م. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (11/5). وسأشير إليه فيما بعد هكذا (ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة)**، وانظر. الجوهري. أبو نصر إسماعيل بن حمّاد(ت: 393هـ) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**.(7مج) دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1420هـ -1999م. تحقيق: د. ايميل بديع يعقوب ود.محمد نبيل طريفي.(257/3)، وابن منظور.أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت:711هـ) **لسان العرب**(15مج) دار صادر(بيروت)ط1 :1410هـ -1990م.(73/7-77)، والفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب(ت:817هـ) **القاموس المحيط**(4مج) دار الجيل(بلا)ط (324/2-325)، والزبيدي. محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي(ت:1170هـ) **شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس**(9مج) دار الفكر(بلا)ط (421/4-423).

2 - القطان. مناع **مباحث في علوم القران**(جزء واحد) مؤسسة الرسالة(بيروت) ط9:1400هـ - 1980م. (ص:306)، وسأشير إليه فيما بعد هكذا(القطان: **مباحث في علوم القرآن)**.

ومن هذه التعريفات أيضاً تعريف الهاشمي صاحب جواهر الأدب، قـال: " القصـص: معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجّـار، فالقصـة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتهـا الاجتماعيـة، ووضـعها الاقتصادي والنفسي، إذ أن هذه الجوانب مرتبطة ببعضها ارتباطاً حيوياً وثيقاً "[1].

المبحث الثاني: أهداف القصص القرآني وفوائده وبيان أحواله.

المطلب الأول: أهداف القصص القرآني وفوائده.

"إن أهداف القصة القرآنية لا تنفصل عن أهداف القرآن الكريم عامة وعن أهداف الدعوة الإسلامية خاصة، ومما هو جدير بالإشارة أن القصة القرآنية الواحدة قد ترد في مواضع متعددة من القرآن الكريم لهدف جديد أو عبرة جديدة، أو لتثبيت الفكرة الواحدة عن طريـق عرضـها بأساليب متعددة أومن عدة زوايا، وذلك لأن تعدد ذكرها يفيد في تثبيت الأفكار وتحقيق الأهداف والغايات"[2].

ومن أهداف القصة القرآنية[3]:

1. الدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالبعث، وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس، وذلك مـن خلال ذكر قصص الأنبياء، وبيان وحدة دعوتهم إلى هذا. وبيان أن ملـة الكفـر واحـدة، وأن شبهات الكفّار واحدة على مر العصور والأزمان، قـال تعـالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:36].

2. تثبيت الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من خلال عرض صور لما عانـاه الأنبيـاء السابقون وأتباعهم من أذى أقوامهم وتعذيبهم، وكيف صبروا على ما أوذوا، وكيف كانت الغلبـة

---

1 - الهاشمي. أحمد. **جواهر الأدب** (2مج) دار الفكر. ط:1 (22/2).

2 - عباس. د. فضل حسن. **قصص القرآن الكريم** (جزء واحد) دار الفرقان(عمان) ط1: 1420 هـ -2000م (ص:44).

3 - انظر النقاط (1 -5) طبّارة.عفيف عبد الفتاح. **مع الأنبياء في القرآن الكريم** (جزء واحد) دار العلم للملايين (بيروت) ط17: 1989م. (ص: 24 -25)، وعباس. د. فضل حسن. **قصص القرآن الكريم** (جزء واحد) دار الفرقان (عمان) ط1: 1420هـ 2000م.(ص: 44 -45) .

للإيمان، وما حل بأقوامهم من دمار وعذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد. فسنة الله دائما نصرة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وإهلاك المكذبين.

3. تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية الماثلة في القصص القرآني، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام والحض على التوبة للمسيء، وهذا كله يكون بتقديم أمثلة لشخصيات تمثل جانب القدوة الايجابية كأيوب عليه السلام في صبره، ويوسف عليه السلام في صبره وعفته وتسامحه، وأمثلة أخرى لشخصيات تمثل الجانب السلبي كقارون باغتراره بالمال والجاه، وفرعون في تعاليه وغروره وإصراره على الكفر، وقوم لوط في إصرارهم على الفواحش. وهنا نجد القرآن الكريم يحض من خلال عرض قصصهم على البعد عن مسلكهم الوخيم وعاقبتهم السيئة في الدنيا والآخرة.

4. الإقناع العقلي والتأثير الوجداني لتمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث في عقل وقلب المتلقي، وذلك من خلال أحداث بعض القصص وما فيها من حوار هادف مقنع، كما أن تكرار هذا الإقناع وذلك التأثير لهذه الحقائق في قصص متعددة أوفي قصة واحدة تعرض بأكثر من قالب أو من زاوية يسهم في تمكين هذه الحقائق في العقل والوجدان، كما يسهم في استخلاص دروس وعبر جديدة منها في كل عرض جديد.

5. الترغيب في التأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة للمؤمن الطائع، والترهيب من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة للجاحد والعاصي.

6. بيان أنّ وسائل الدعوة إلى الله عند الأنبياء موحدة، كما أن استقبال أقوامهم لدعوتهم متشابه.

7. بيان الأصل المشترك بين رسالة محمد ﷺ ورسالة إبراهيم عليه السلام بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة؛ وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان. فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الأعلى:18 - 19].

8 - تصديق التبشير والتحذير، وعرض نموذج واقع من هذا التصديق، كالذي جاء في سورة الحجر قال تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[الحجر:49 -50].ذ

فتصديقاً لهذا وذلك جاءت القصة على النحو التالي:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ .

[الحجر :61 - 66].

وفي هذه القصة تبدو (الرحمة) في جانب لوط، ويبدو (العذاب الأليم) في جانب قومه المهلكين.

9. تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم عليه السلام وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وذلك من خلال إسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير!

ولما كان هذا موضوعاً خالداً، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى.

10. وللقصة القرآنية أهداف أخرى متفرقة. منها: بيان قدرة الله على الخوارق: كقصة خلق آدم. وقصة مولد عيسى. وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منه جزءاً وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وقد أحياه الله بعد موته مائة عام.

وبيان الفرق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة. كقصة موسى مع العبد الصالح.

إلى آخر هذه الأغراض الوعظية، التي كان يساق لها القصص فيفي بمغزاها[1].

ولقد ذكر أبو اسحق النيسابوري المعروف بالثعلبي (427هـ) خمسة أهداف لقصص الأنبياء في القرآن الكريم، فقال - رحمه الله -:

"قالت الحكماء: إن الله -تعالى- قصَّ على المصطفى ﷺ أخبار الماضين من الأنبياء والأمم الخالية لخمسة أمور أي حِكَم:

الحكمة الأولى منها: أنه إظهار لنبوته ﷺ هو دلالة على رسالته وذلك أن النبي ﷺ كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا إلى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه علم الأخبار، ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار ما مضى من القرون وسير الأنبياء الماضين

---

1 - انظر النقاط (6 -10) قطب. سيد إبراهيم (ت:1387هـ -1967م) **التصوير الفني في القرآن** (جزء واحد) دار الشروق. ط8: 1403هـ 1983م.(ص:149 -155).

والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلاً موفقاً صدق بما يوحي الله إليه، وإخباره إياه بـذلك فآمن به، وصدقه، وكان ذلك معجزة له ودليلاً على صحة نبوته، ومن كان منهم عـدواً معانـداً حسـده وجحـده وأنكـر مـا جـاء بـه، وقـال كمـا أخبـره الله - تعـالى -: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفرقان:5]

وقال الله تعالى تكذيباً لهم وتصـديقاً للنبـيﷺ ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: 6].

والحكمة الثانية: أنه إنما قصّ عليه القصص ليكون له أسوة وقـدوة بمكـارم أخـلاق الرسـل والأنبياء المتقدمين والأولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم، ولتنتهي أمتـه عن أمور عوقبت أمم الأنبياء لمخالفتها، واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب، فتمم الله لـه بذلك معاني الأخلاق، فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4] .

والحكمة الثالثة: أنه إنما قصّ عليه القصص تثبيتاً له وإعلاماً بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه عُوفِيَ هو وأمته من كثير ممـا امـتحن الله بـه الأنبياء والأولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي كانت على الأمـم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسـير قولـه تعـالى:﴿ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ ... ﴾ [لقمان:20].

إن النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة تضـعيف الصـنائع. قـال الله تعـالى: ﴿ ...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ...﴾ [البقرة: 185].

وقال تعالى :﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٍ ...﴾.[الحج: 78] وقال تعـالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28].

فلما قصّ الله تعالى - هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته، وعلـم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الأنبياء والأمم، فوصل قيام ليلـه بنهـاره، وصيامه بقيامه، لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل:" يا رسول الله أليس

قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال:أفلا أكون عبدا شكورا"[1]، ثم افتخر ﷺ فقال: " بعثت بالحنفية السمحة"[2].

والحكمة الرابعة: أنه إنما قص الله تعالى عليه القصص تأديباً وتهذيباً لأمته وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم، والأعداء وعقابهم، ثم ذكر في غير موضع تحذيره إياهم عن صنع الأعداء وحثهم على صنع الأولياء فقال - تعالى - :﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف: 7].

وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ... ﴾. [يوسف: 111].

وقال:﴿ ...وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 46] ونحوها من الآيات، وكان الشبلي[3]ــ رحمه الله تعالى ــ يقول في هذه الآيات: اشتغل العام بذكر القصص، واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص.

والحكمة الخامسة: أنه قص عليه أخبار الأنبياء والأولياء الماضين إحياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في إبقاء ذكره مثبتاً له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم ﷺ في إبقاء الثناء الحسن فقال :﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾. [الشعراء: 84] وللناس أحاديث يقال: ما من ميت إلا والذكر يحييه، وقال: ما أنفق الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذِكر"[4].

---

1 - رواه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب تفسير القرآن، باب(ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر...) برقم(4837) (52/3).

2 - أخرجه الإمام أحمد. أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني (ت:241هـ) **مسند الإمام احمد بن حنبل**(50مج)الحديث برقم:(22291) مؤسسة الرسالة (بيروت)ط1: 1421هـ-2001م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط (624/36).

3 - الشبلي. أبو بكر جعفر بن يونس(ت:343 هـ)، ويقال: جعفر بن دلف، ويقال دلف بن جحدر.أصله من قرية شبليّة. ولد بسامراء وتوفي ببغداد. انظر. الذهبي.أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان(ت:748هـ) **سير أعلام النبلاء**(17مج) مؤسسة الرسالة (بيروت)ط1: 1403هـ-1983م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط +إبراهيم الزيبق (367/15-369) وانظر. الأصفهاني. أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت:425هـ) **حلية الأولياء** (17مج) دار الفكر(بيروت) (374/10) وانظر. البغدادي. أبو بكر احمد بن علي (ت:463هـ) **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** (22مج)دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1417هـ-1997م. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (391/14-398).

4 - الثعلبي. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري(ت:427هـ) **عرائس المجالس**(جزء واحد) المكتبة الثقافية (بيروت) (بلا)ط (ص:2-3).

وأما الدكتور صلاح الخالدي فقد حصر هذه الأهداف في ثلاثة. قال :

" أشار القرآن أثناء حديثه عن القصص - إلى ثلاثة أهداف من ذكره لتلك القصص، ودعانا إلى أن نلتفت إليها، وأن نحققها ونحن نقرأ تلك القصص، ونتدبرها ونتعامل معها.

أما الهدف الأول: شحذ العقول والأفكار: قال تعالى: ﴿...فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 176].

إن سماع قصص القرآن والوقوف أمامه وتدبره، يقود إلى التفكر والتفكر عملية عقلية، يعمل بها الإنسان فكره، ويشغل عقله فيقف على مواطن العظة والعبرة.

إن القرآن الكريم يريد منا أن نتفكر ونتعظ، وهو يدعونا في آيات كثيرة إلى التفكر والاتعاظ في قوله تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ: 46].

إن التفكير واجب قرآني، وفريضةٌ إسلاميةٌ، وضرورةٌ حياتيةٌ. وإن الذين لا يقومون بهذا الواجب، ويعطلون هذه الفريضة، يهدرون هذه النعمة الربانية التي منحها لهم ربهم سبحانه، ويضيعون هذه الطاقة الهائلة التي وهبها لهم.

التفكير والتعقل والاتعاظ ثمرات من ثمار قراءة قصص السابقين في القرآن، ونتيجة من نتائج سماع قصص القرآن، وهدف رفيع يجب أن يهدف إليه كل من قرأ قصص القرآن، أو سمعه، أو قصه على السامعين.

قا تعالى:﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٌ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: 45 -46].

وقال تعالى :﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الصافات: 137 -138].

ويلاحظ أن الآيتين الأخيرتين، أوردهما القرآن، في التعقيب على قصة قوم لوط في سورة الصافات. وهو يخاطب فيهما قريشاً، ويذكرهم بأنهم يمرون على قرى قوم لوط أثناء تجارتهم إلى الشام، في الصباح وفي المساء. ويذمهم لأنهم لم يُعملوا عقولهم، ولم يُديروا أفكارهم، أو

يجيلوا نظراتهم، فيما جرى لقوم لوط، فيقودهم هذا إلى الإيمان بالله، وترك كل ما يغضبه، ويكون سبباً في عذابه.

الهدف الثاني: تثبيت الفؤاد.

قال تعالى:﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:120].

تثبيت الفؤاد على الحق، واستعلاؤه بالحق على كل قوى الباطل، وإيثاره ما عند الله، ويقينه بوعد الله، وبقاؤه مع جنود الله، ومواجهته لأعداء الله، واستمراره على هذا النهج حتى يلقى الله.

إن الخطاب في هذه الآية شامل للمسلمين أينما كانوا، وموجه لكل مسلم في كل زمان ومكان. ومسلمو هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى تحقيق هذا الهدف القرآني من قصصه،و نحن أحوج ما نكون إلى أن نثبت بقصص القرآن أفئدتنا، ونحقق الطمأنينة لقلوبنا، ونرسخ على طريق الحق مواقعنا، ونثبت عليها أقدامنا.

الهدف الثالث: عبرة لأولي الألباب.

قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾ [يوسف:111].

وهذه هي الآية الأخيرة في سورة يوسف، وكأنها تدعونا إلى ملاحظة الهدف من قصة يوسف التي ذكرت في السورة كاملة.

وقد مرت بنا من قبل الآية التي بينت منهج القصص القرآني في بداية السورة نفسها وهي قوله تعالى :﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف:3].

وعندما ننظر في الآيتين، نقف على لفتة لطيفة:

آية في مطلع قصة يوسف عليه السلام تبين لنا مصدر قصص القرآن، وتصفه بأنه أحسن القصص، وتعرفنا على المنهج القرآني البديع في تلقي هذا القصص وأخذه وتدبره والتعامل معه.

وآية في آخر السورة تشير إلى الهدف من إيراد هذا القصص في القرآن، وكأنها تدعونا إلى أن نوجد فينا هذا الهدف، فلا نجعل القصص هدفا بحد ذاته.

آية في بداية القصة تعرف على النهج، وآية في نهاية القصة تحدد الهدف منها. ويا ليت قومي يعلمون!' [1].

والملاحظ أن هذه الأهداف للقصص القرآني التي ذكرها الدكتور صلاح الخالدي، أكثر ارتباطاً وصلةً من غيرها بأهداف وغايات القصص القرآني ذلك أنه ذكرها مشفوعةً بدليلها القرآني الذي جاء في فواصل الآيات بعد إيرادها القصص القرآني، فصلة الأهداف التي ذكرها بمنهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم أقوى من غيرها وإن كان بعضها قد دخل في النقاط السابقة التي قد أوردها الباحث، إلا أن الفرق أن من ذكر هذه الأهداف لم يذكر تأصيلها القرآني، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: أحوال القصص القرآني[2]:

الحالة الأولى:غيب الماضي:

وتتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل، ولم يكن لعلم محمد ﷺ بها من سبيل. منها قصة نوح عليه السلام التي قال الله فيها:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ ...﴾[هود:49].

الحالة الثانية: غيب الحاضر:

أما غيب الحاضر فنريد به ما يتصل بالله تعالى والجن والجنة والنار ونحو ذلك، مما لم يكن للرسول ﷺ سبيل إلى رؤيته ولا العلم به، فضلاً عن أنْ يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح، الذي أيده ما جاء به الأنبياء وكتبهم عليهم الصلاة والسلام.

ومنه أيضا ما فضح الله به المنافقين في عصر الرسولﷺ مما كان قائماً بهم فخفي أمره عليه كقوله:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى

---

1 - الخالدي. صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين في القرآن** (جزء واحد) دار القلم (دمشق) ط4: 1425هـ - 2004م (ص:26-29) وانظر. الخالدي. د. صلاح عبد الفتاح. **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**(4مج) دار القلم (دمشق) ط1: 1491هـ - 1998م (32/1-37)، والشعراوي. محمد متولي. **المنتخب من تفسير القرآن الكريم**(3مج) دار النصر (بيروت) (بلا)ط (122/2).

2 - انظر هذه الحالات. آل نوفل. حمدي بن محمد نور الدين **قصص القرآن** (جزء واحد) مكتبة الصفا - مكتبة المورد (القاهرة) ط1: 1423هـ - 2002م (ص:13-19) بتصرف، والخالدي. **مع قصص السابقين في القرآن** (ص:31-32).

قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:204 -205].

ومن غيب الحاضر أو الماضي ما جاء في طي القرآن من حقائق ومنافع ومبادئ لم يكشفها إلا العلم الحديث.

الحالة الثالثة: غيب المستقبل:

أما غيب المستقبل فنمثل له بثلاثة أمثلة:

المثال الأول: ما جاء في معرض التحدي بالقرآن، من قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة: 24] وقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88] فالذي يظهر من هاتين الآيتين هو عدم قدرة المخاطبين من الثقلين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهذا التأكيد على عدم القدرة على الإتيان بمثله قد تناول المستقبل، والمستقبل غيب لا يملكه أحد، فنبوءة القرآن تحققت وما زالت، حيث انقرض الجيل المخاطب به دون أن يستطيعوا معارضته، ولا حتى معارضة أقصر سورة منه، وهذا العجز وعدم الاستطاعة سار إلى يومنا هذا، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المثال الثاني: ما جاء في التنبؤ بمستقبل الإسلام ونجاحه نجاحاً باهراً وذلك في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [الرعد:17] وقوله: ﴿...ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:24 -25]، وقوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:9].

لقد كتب الله تعالى من خلال هذه الآيات للمسلمين في مكة، وهم قليل مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس، لينصرن الله الإسلام ويظهره، ويحفظ كتابه ويخلده.

نعم إن الله -سبحانه وتعالى- يقطع العهد على نفسه بلسان عربي مبين، وبلغة واثقة والإسلام يومئذ في مكة مدفوع مضطهد، والمسلمون مضطهدون مستضعفون في الأرض، وليس هناك من بارقة أمل تدع النفوس مطمئنة بنجاح هذا الدين.

وفي خضم هذا البحر المتلاطم بأمواج الحيرة والتردد العاتية تأتي هذه النبوءات الإلهية اليقينية بنصر الدين وحفظ كتابه المبين.

ومما يؤيد صدق هذه النبوءات أن الإسلام لاقى من القواصم ما كان بعضها كافياً لمحوه والذهاب به، ولكنه بقي -والحمد لله- ثابتا يطاول شم الجبال الرواسي، ولم تنل منه كل هذه المحاولات والحمد لله رب العالمين.

المثال الثالث: مستقبل اليهود:

لقد أكد الله -سبحانه وتعالى- على وجه التأبيد ذلّة يهود ومسكنتهم إضافة إلى غضب الله عليهم. قال تعالى:﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ ... ﴾ [آل عمران:111- 112]

فالله -سبحانه وتعالى- يخبرنا بهذا المستقبل المظلم الأسود ليهود، فهذه الصفات ملازمة لهم لا تنفك عنهم، فالذّلّة التي ضربها الله عليهم تماماً كما يضرب الحَجر على السفيه، فهم لا يستطيعون الفكاك إلا إذا دخلوا في عهد من الله أو عهد من الناس. ثم هذه المسكنة الأخرى التي ضربت عليهم- وهي التي تعني خوف الفقر- قد ضربت عليهم أيضاً، فهم بذلك أشد الناس شعوراً بالخوف من الفقر مما جعلهم أشد خلق الله طمعاً وشَرَهاً في جمع المال والدنيا، فهم لا يعرفون القناعة ولا يقفون عند حد أبداً وإن أغرقهم المال إلى أم رؤوسهم، فهم بذلك لا يتورعون عن تملك هذا المال بأي وسيلة كانت، مع كونهم يملكون ثروة ضخمة، وآلة إعلامية ودعائية تدندن لهم ليل نهار، وصباح مساء، حتى أصبحت سياسة الغدر عندهم، والقتل والتدمير لكل مناحي الحياة في بلادنا فلسطين سياسة مشروعة ومقبولة لدى قوى الكفر والظلم المتنفذة في سياسات العالم اليوم.

ثم اقرأ في شأن هذه الطائفة قول -الله تعالى-: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ ... ﴾.[الأعراف: 167]. وهذا تسجيل آخر لعبودية هؤلاء وذلتهم إلى الأبد.

الخلاصة:

والذي يظهر للباحث- والله أعلم- أن المتأمل فيما تعارف عليه أهل العلم والأدب أن القصة لون خاص من الأخبار ذو طبيعة خاصة، وعلى ذلك فكل قصةٍ خبر ، وليس كل خبر

قصة -كما تجعل العرب حكاية كل خبر قصة - فما حدثنا الله -تعالى - به عن خلــق الســماوات والأرض وخلق الملائكة والجن أخبار، ولكنها ليست بقصص، وما حدثنا به عن أســماء رســله وأنبيائه وأسماء آبائهم أخبار، وليست بقصص، أما أخبار الرسل مع أقوامهم، والصــراع بــين الأخيار والفجّار فهو قصص كما أنه أخبار.

المبحث الثالث: مقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصائص ومميزات القصص القرآني:

مما لا شك فيه أن القصص القرآني ليس فيه ما في غيره من القصــص الــذي يحــوي صوراً ومواقف كثيرة لا يراد منها إلا استثارة العواطف المريضة، واسترضاء الميول المنحرفة في الإنسان وتعلقه بها، واقتياده منها، بل إن القصص القرآني حــرب علــى هــذه العواطــف المريضة، وتلك الميول المنحرفة، إنه ينظر إلى الإنسان على أنه أكرم مخلوق وأن هذا المخلوق الكريم على الله إنما يقاد من داخله، ولا يقاد من خِطامه كما تقاد الدابة، هذه هي نظرة القصص القرآني إلى الإنسان ذلك لأنه كما وصفه الله سبحانه وتعالى بقولــه:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [آل عمران: 62] وما للحق أن يلبس الباطل، أو يسلك مسالكه.

ولأن القصص القرآني قصص رباني مصدره الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه **ولا من خلفه، فقد امتاز بالمزايا والخصائص الآتية:**

1. **أنه حق** : لقوله تعالى:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ ۚ وَمَا مِنۡ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 62].

فهذه صفة قصص القرآن. والحق معناه الصدق والصحة والصواب، من حيث المعنــى والمضمون والمحتوى، فكل ما ورد في القرآن من القصص فهو حق، سواء كــان موضــوعه عقيدة أو دعوة، أو تشريعاً أو توجيهاً.

وهذه الآية من سورة آل عمران، إنما جاءت في ختام الآيات التي سردت قصة عيســى عليه السلام، تكذيبا للنصارى، وتفنيداً لمزاعمهم حول عيسى عليه السلام، وجاءت كذلك تقريراً لأن كــل مــا خالف وناقض قصص القرآن الحق الصادق، فهو كذب وزور وباطل [1].

والقصص القرآني حق كذلك، لأنه يروي لنا أخبار الماضين وقصصهم وتلك الأحــداث التي وقعت بكل صدق ودون تصرف ومن غير زيادة أو نقصان.

---

1 - الخالدي. **القصص القرآني** (30/1 -31) بتصرف يسير.

وهو حق أيضا لأن مصادره يقينية، فهي إما من كتاب الله أو مما صح من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

"وفي كل الحالات لن نجد فيه إلا الصدق والواقعية، ولن نجد ما وجدناه في صياغة (هوميروس) لإلياذته وأوديسته من الأساطير، ولن نجد كذلك ما وجدناه عند كتاب الرواية والأقصوصة والتمثيلية في أوروبا الذين لم يكونوا يتوخون الوقائع الحقيقية في فَنِّهِم الطليق"[1].

2. أحسن القصص: لقوله تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ... ﴾ [يوسف:3].

"وهذا يتناول كل ما قصه الله تعالى في كتابه، فهو أحسن القصص و(أحسن القصص) قيل: إنه مصدر، وقيل:إنه مفعول به، وعلى القول الأول يكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص، كما يقال: نكلمك أحسن التكليم، ونبين لك أحسن البيان، وعلى القول الثاني يكون المعنى: نحن نقص عليك ما يقص، أي أحسن الأخبار المقصوصات، ويدل على هذا المعنى أنه هو المراد. قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام :﴿...فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ...﴾. [القصص:25] وقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف:111]"[2].

وقد رجح شيخ الإسلام - بعد أن ذكر القولين - " أن القصص في قوله تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ... ﴾ [يوسف:3] مفعول به، وإن كان أصله مصدراً ولكن غلب استعماله في المفعول به"[3].

"وعلى هذا فإن الآية الكريمة وصفت قصص القرآن بأنه أحسن القصص، أي أحسن من القصص البشري، مهما كان أسلوب القاص من البشر، ومهما كانت بلاغته وموهبته.

وحسن القصص القرآني يتجلى في: الحسن الفني، فهو معروض في القرآن الكريم بأسلوب التصوير الفني، والجمال البياني المؤثر المعجز.

ويتجلى في الحسن الموضوعي، حيث يعرض لنا أخباراً أو معلومات عن ذلك التاريخ الماضي وأحداثه.

---

1 - قطب. **التصوير الفني في القرآن الكريم** (ص:256).

2 - الخالدي. القصص القرآني(29/1).

3 - ابن تيمية. تقي الدين أحمد الحرّاني (ت:728هـ) **جواب أهل العلم والإيمان** (جزء واحد) دار القاسم (الرياض) ط1: 1417هـ - 1996م. تحقيق: عبد العزيز بن فتحي بن السيد ندى (ص:35-37) وانظر. الزجاج. أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت:311هـ) **معاني القرآن وإعرابه** (5مج) عالم الكتب(بيروت)ط1: 1408هـ-1988م.تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي (88/3).

ويتجلى في الحسن الأخلاقي، لأن كل ما فيه حق وصدق، لا كذب فيه ولا تصــرف بزيــادة أو نقصان"[1].

3. تنوع طريقة العرض[2]:

وقد لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للإقتداء في عرض القصــة، علــى النحو التالي:

أ- مرة يذكر ملخصا للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات من بدئها إلى نهايتها. وذلك كطريقة قصة أهل الكهف. فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات.

ب- ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك مــن أولهــا وتســير بتفصــيل خطواتها. وذلك كقصة موسى في سورة القصص. فكأن هذه المقدمة التي تكشف الغاية مــن القصة كانت تمهيداً مشوقاً لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية المرسومة المعلومة.

ت- ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجأتها الخاصة ما يغنــي. مثل قصة مريم عند مولد عيسى، ومفاجأتها معروفة وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدهد وملكة سبأ.

ث- ومرة يحيل القصة تمثيلية. فيذكر من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض فقط ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها. وذلك كالمشهد من قصة إبراهيم وإسماعيل فــي فصــل التصوير:﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ... ﴾.[البقرة:127].

هذه إشارة البدء.أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإســماعيل:﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة 127].إلى نهاية المشهد الطويل. ولهذا نظائره في كثير مــن قصص القرآن.

4. تنوع طريقة المفاجأة:

أ- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشفه لهم معا في آن واحد. مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف.

ب- ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية؛ وهؤلاء يتصــرفون وهــم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون من تصرفاتهم عالمين. وأغلب ما يكون ذلك في معــرض

1- الخالدي. **القصص القرآني** (29/1)، وانظر. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **المنهج الحركي في ظلال القرآن**(جزء واحد) دار المنارة(جدة) ط1406:1هـ -1986م(ص:428 -434)، وانظر. الخولي. البهي. **تذكرة الدعاة**(جزء واحد)مكتبة دار التراث(القاهرة) ط8: 1408هـ -1987م.(ص:45).

2- انظر النقاط (3 -6) قطب. **التصوير الفني في القرآن الكريم** (ص:180 -200) بتصرف.

السخرية، ليشترك النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين!

وقد شاهدنا مثلاً من ذلك في قصة أصحاب الجنة.

ت - ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة. مثال ذلك قصة عرش ملكة سبأ الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم. فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً. ولكن مفاجأة الصرح المُمَرَدْ من قوارير، ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معاً.

ث - ومرة يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته: وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين اتخذت من دون أهلها حجاباً فتفاجأ هناك بالروح الأمين بهيئة رجل فتقول:﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: 18]. نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه (الروح) ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم:19]. وقد فوجئنا كذلك معها ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[مريم:23]﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:24] ...الخ.

5. الفجوات بين المشهد والمشهد:

هذه الفجوات التي يتركها تقسيم المشاهد وقص المناظر، مما يؤديه في المسرح إنزال الستار وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة؛ بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق.

وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب؛ ويمكن أن تلحظ في ما عرضناه من القصص قبلاً، ومثال ذلك نجده في قصة يوسف عليه السلام.

6. التصوير الفني في القرآن. وله ثلاثة ألوان:

اللون الأول: قوة العرض والإحياء واللون الثاني: تصوير العواطف والانفعالات واللون الثالث: رسم الشخصيات في القصة.

هذه هي أهم وأبرز الخصائص والميزات الفنية للقصة القرآنية وفي ما يلي سنعرض لأهم الخصائص والسمات للقصة في الأدب الإنساني .

المطلب الثاني: خصائص وسمات القصص الإنساني:

لقد ذكر الدكتور محمد سليمان الأشقر - في كتابه: معجم العلوم اللغوية - خصائص القصة والأسلوب الذي يميزها كلون من الألوان الأدبية. فقال:

"وقد حدد بعض الباحثين هذه الخصائص في النقاط التالية :

1. الصفة العامة لخطة الرواية، هي الاطراد والتسلسل بحيث يشعر القارئ أنه مسوق دائماً إلى غاية، فهو في ترقب وشوق إلى النهاية.
2. تكون القصة منسقةً تنسيقاً منطقياً وتوجز وتحذف منها التفاصيل التافهة.
3. تكون القصة ذات مغزى رئيس يفهم من السياق بطريقة غير مباشرة.
4. يجب أن تكون العبارات سهلة واضحة، لأن القارئ معني بمجرى حوادث القصة.
5. تنوع العبارة بين الدقة والقوة حسب المواقف والشخصيات.
6. تنوع الأسلوب بين القصص والوصف والحوار.
7. من مظاهر الأسلوب القصصي المبالغة أحيانا للتنبيه إلى النقاط الهامة وكذلك المفاجآت والرمز ليفتح المجال للخيال.
8. قد يدخل الحب كعنصر ثانوي في القصص لقوته، ولأنه عاطفة مشتركة بين البشر"[1].
9. والقصة حوادث يخترعها الخيال، وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع، وإنما تبسط أمامنا صورة مموهة منه[2]، وغالباً ما كانت أخباراً متفرقة أو متناقضة، يعوزها الاتساق والربط بين أحداثها وشخصياتها، وترتيب هذه الأحداث [3].
10." القصص في الأدب الإنساني كمية أكثر منه كيفية، فهذا يتجلى لنا في تراثنا القصصي الضخم الذي زخرت به المجاميع والمجلدات الكبرى من مثل: (العقد الفريد)، و(الأغاني) و(عرائس المجالس)، و(المستطرف في كل فن مستظرف)، وغيرها"[4].

---

1 - الأشقر. د. محمد سليمان. **معجم العلوم اللغوية** (ص:320) نقلاً عن: الأشقر. عمر سليمان عبد الله. **صحيح القصص النبوي** (جزء واحد) دار النفائس(عمان)ط2 : 1418هـ 1997م. (ص:12 -13).

2 - نجم. محمد يوسف. **فن القصة** (جزء واحد) دار بيروت (بيروت) ط2: 1956م (ص:10).

3 - هلال. محمد غنيمي. **النقد في الأدب الحديث**. (جزء واحد) دار نهضة مصر القاهرة (بلا)ط: 1996م. (ص:492).

4 - الفاخوري. حنا. **الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم** (/596) دار الجيل (بيروت) ط2: 1995م .

وبالجملة فإن القصة الأدبية في القديم والحديث "بعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، وبعضها يقوم على تشويه الحقائق وثالث ينحرف به كاتبه عن القيم والمثل والمبادئ. ونظرة إلى كتّاب القصة الذين اشتهروا نجد أن الشذوذ والانحلال الخلقي والإلحاد والتهريج كان الطابع العام لأكثرهم، هذا بالنسبة للكتّاب العالميين للقصة؛ أما الكتّاب العرب فهم بين مترجم ترجمة حرفية، أو ناق للفكرة؛ ليضعها في أسلوبه وقالب من الكلمات العربية، وقليل أولئك الذين ساروا بالقصة مسارها الصحيح نهجاً وموضوعاً مستوحين ذلك كله من بيئتنا وقيمنا" [1].

الخلاصة:

من خلال هذه المقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني نستطيع أن نخلص إلى ما يلي:

1. **منهج القرآن في قصصه:**

القرآن حين يعرض قصص الأنبياء وغيرهم نراه "يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ ووقائعه لكنه يعرضها عرضاً أدبياً، ويسوقها سوقاً عاطفياً، يبين المعاني، ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائياً يستثير منها العاطفة والوجدان"[2]، ويخرج بها من الدائرة التاريخية إلى الدائرة الدينية، ومن هذا الاتجاه الذي يقصده القرآن" لا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها، وأنه لا يتسلسل في إيراد حدوثها مرتبة منظمة، وأنه يصعب فهم القصة من القرآن على من لم يطلع عليها من مصدر آخر، وذلك أن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ، فحينا يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطاً بعضها ببعض في تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقه حتى خاتمتها. ..كما نراه في سورة يوسف، وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لأن في هذا الجزء ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن إلى القصة تلميحاً يستغني به عن الإطالة، اعتماداً على أن القصة معروفة مشهورة.

أرأيت الخطيب حين يستشهد بقصة من القصص أتراه يَعمَدُ إلى القصة كلها فيسردها؟ أم أنه يَعمَدُ أحيانا إلى جزء من القصة يورده في خطبته، وأحياناً يكتفي بالإيماء إلى القصة

---

1 - عباس. فضل حسن **القصص القرآني إيحائه ونفحاته.** (جزء واحد) دار الفرقان (عمان) ط1: 1407هـ - 1987م (ص:12).

2 - خلف الله. محمد احمد، **الفن القصصي في القرآن** (ص:122). نقلاً عن: طبّارة . مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص:25).

والإشارة إليها من غير أن يكون في مثل هذا العرض نقص في الخطبة أو اعتراض على الخطيب" [1].

2. الأسلوب في قصص الأنبياء:

وظاهرة بارزة تلفت النظر في أسلوب القرآن في قصصه وغيرها، هو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس وذلك من تأثير بلاغته التي ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه فإنك " لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، ولا أشد تلازماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعومتها وصفاتها"[2] ويقو الباقلاني:" إن أسلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة... فلم يوجد ولن يوجد في العربية أثر يجاريه في بلاغته بحيث يحفظ جمال الأسلوب مع هذا المقدار من الطول، والاشتمال على الموضوعات المختلفة من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص"[3].

ومما يختص به أسلوب القرآن ذلك الإيقاع الموسيقي الذي ينجم عن ترابط الكلمات بشكل خاص يكون نغماً معيناً رتيباً من مجموعة مقاطع صوتية كما ينجم من الفاصلة واطرادها أو تغيرها في نسق معين، فالفاصلة هي مفتاح الوزن القرآني وموسيقى نظمه.

هذه البلاغة القرآنية وما تحمل من معاني الهداية هي التي أخذت بألباب العرب في بدء الإسلام فكانت أكبر حافز لهم للهداية وهي التي شهد الكتاب والشعراء في كافة العصور بتفوقها واستحالة مجاراتها.

3. السر وراء التكرار في قصص الأنبياء:

وما يلفت النظر في قصص الأنبياء هو أن معاني القصة ترد مكررة في مواضع شتى من سور القرآن، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وسبب ذلك "إن المعاني الأدبية والفنية هي مقصود القرآن من القصص، وهي الأمور التي يبحث عنها، وهي الأمور التي تجعل الحادثة الواحدة تصور بصور مختلفة ويعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب الظروف والمناسبات"[4] "فليس المقصود من القصص سرد المواد التاريخية بل المواعظ

---

1 - البدوي. احمد احمد، **من بلاغة القرآن** (بلا)ط. نقلاً عن: المصدر السابق.

2 - الخطابي. **بيان إعجاز القرآن** (ص:28). نقلاً عن:طبّارة. **مع الأنبياء في القرآن الكريم** (ص:26).

3 -الباقلاني. أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن** (ص:60 -67). نقلاً عن: المصدر السابق.

4 - خلف الله. **الفن القصصي في القرآن**. نقلاً عن: المصدر نفسه.

والعبر والتحذير من معصية الله والبشارة برضوان الله، وهذه الأمور تختلف في موطن عنها في آخر، ومن هنا كان الاختلاف، لأن اختلاف المقاصد يدفع من غير شك إلى اختلاف الصور الأدبية.

فتارة يجيء أسلوبه في موطن عن طريق الإطناب وفي مواطن أخرى عن طريق الإيجاز مع اختلاف الفواصل من موطن لآخر ومع التنوع بالعبارات البليغة والألفاظ العذبة لتتجلى بلاغته وفنونه الرفيعة في التعبير. هذا التكرار البليغ برهان على كونه وحياً إلهياً يستشعره كل مطلع على أسرار فصاحة اللغة العربية. فالشاعر أو الكاتب إذا كرر قولاً لا يكون كلامه الثاني بدرجة الأول في الفصاحة بل تظهر عليه علامات الضعف والتكلف والتفكك، أما أسلوب القرآن فقد بلغ الغاية في الفصاحة في جميع ما كرر من قصص وسواها.

ولا بد من الإشارة إلى أن في التكرار أثراً ملموساً في التأثير على الجماعات والأفراد فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا ينتهي به إلى قبوله وهذه حقيقة ساطعة"[1].

الخلاصة :

في ختام هذا المبحث أستطيع أن أقول: إن القرآن الكريم لم ينهج منهج الإنسان في قصصه وأخباره، فهو عندما ينتقي قصص وأخبار بعض المرسلين، إنما يأخذ منها ما يلائم موقف النبيﷺ من قومه، وما يصلح للدعوة الإسلامية في المرحلة التي تعيشها، لذا فإننا لا نكاد نجد التفصيل الموجود في القصص الإنساني موجوداً في القصص القرآني. إن القرآن الكريم لم يقصد من خلال قصصه إلى تخليد أحداث التاريخ أو تقديس الشخوص كما في القصص اليوناني وغيره، إنما كان يرمي إلى استخلاص العظة والعبرة، وإلى توضيح سبل الهداية والرشاد، والى شرح أركان الإسلام ومبانيه العظام والرد على المعاندين، و تثبيت فؤاد النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم -، ومن معه من صحابته الغر الميامين.

فالقرآن الكريم إذاً يورد لنا قصص الأنبياء ويبين لنا الهدف من هذا الإيراد بقوله:﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:111] كما يوجه خطابه للرسول قائلا: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [هود: 120].

---

[1] - طبّارة. **مع الأنبياء في القرآن الكريم** (ص:26 -27).

فعندما نقف أمام جملة:﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ ﴾، فإننا نلمح إشارة واضحة إلى أن القرآن الكريم قد جاء لنا من التاريخ - السجل الحافل بالعبر والواعظ الصامت للبشر - بأحـــداث وقعت بالفعل، وذلك بهدف العظة والتبيين والرد.

الفصل الأول:التعريف بنبي الله نوح وبيان خصائصه، وعلاقته بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: نسب نوح ﷺ وبيئته، وعمره، ووفاته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم نوح ﷺ ونسبه.

المطلب الثاني: أسرة نوح ﷺ.

المطلب الثالث: البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح ﷺ.

المطلب الرابع: عمره ووفاته.

المبحث الثاني: خصائص نوح ﷺ ومعالم شخصيته، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: خصائص نوح ﷺ.

المطلب الثاني: معالم شخصيته.

المبحث الثالث: علاقة نوح ﷺ بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين نوح وآدم - عليهما السلام -.

المطلب الثاني: بين نوح ومن بعده من الأنبياء.

المطلب الثالث: بين نوح ومن بعده من الأقوام.

الفصل الأول

التعريف بنبي الله نوح وبيان خصائصه، وعلاقته بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.

المبحث الأول: نسب نوحعليه السلام، وبيئته، وعمره ووفاته.

المطلب الأول: اسم نوح عليه السلام ونسبه.

لقد ذكر كثير من الكتّاب والمؤرخين نسب نوح عليه السلام وهو نسب يستند إلى الإسرائيليات، والروايات الضعيفة، ولم أقف على نص قرآني أو حديث متصل صحيح في نسب نوح عليه السلام، أما ما ذكره المؤرخون فهو: نوح بن لمك بن متّوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[1].

وأمه هي:" بتنوس ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم"[2]. وهذا نسب ورد أيضاً في الروايات الإسرائيلية ولم يصح في حديث صحيح ولا حسن.

ونوح هو اسم علم أعجمي، و ليس عربياً؛ لأن العرب لم يكونوا قد وجدوا في عهده عليه السلام ولم تكن اللغة العربية قد ظهرت، وهو ينصرف مع العجمة والتعريف، وكذلك كل اسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن مثل لوط، وهود[3].

وهذا ما ذكره القرطبي رحمه الله- من جواز انصراف اسم (نوح) وذلك لأنه على ثلاثة أحرف وقد يجوز أن يشتق من ناح ينوح[4].

---

1 - انظر. البخاري.أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي(ت:256هـ)**التاريخ الكبير**(9مج) دار الكتب العلمية(بيروت)(بلا)ط: 1407هـ -1986م(6/1). والطبري. أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ) **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك** دار الكتب العلمية(بيروت) 1417هـ 1997م (108/1 -111)، والمسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:346هـ) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. دار القلم (بيروت) ط1: 1408هـ - 1989م. تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي (38/1 -41) وابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ) **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1412هـ - 1992م. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه: نعيم زرزور (239/1)، وابن الأثير.أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت:630هـ) **الكامل في التاريخ**(10مج) دار الكتب= = العلمية(بيروت)ط1: 1403هـ -1983م. مراجعة وتعليق: نخبة من العلماء(36/1)، وابن كثير. أبو الفداء إسماعيل (ت:774هـ) **البداية والنهاية** دار الفكر(بيروت) (بلا)ط: 1402هـ 1982م (100/1 - 101).

2 - الطبري. **تاريخ الطبري** (108/1) .

3 - انظر. ابن منظور. لسان العرب(628/2).

4 - انظر. القرطبي. أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت:671هـ) **الجامع لأحكام القرآن**(22مج) دار الفكر (بيروت) ط2: 1372هـ 1952م. تصحيح: احمد عبد العليم البردوني وتحقيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش (62/4) ، والنحّاس. أبو جعفر أحمد بن إسماعيل. إعراب القران(5مج)، عالم الكتب ومكتبة النهضة.ط1. تحقيق: زهير غازي زاهر(72/1).

وما نريد أن نثبته هنا أن ذكر" نسب نوح عليه السلام من الأمور التي لا يقطع بثبوتها"[1]، فلم يثبت في الأحاديث الصحيحة شيء عن أسماء آباء نوح، ولا عن سلسلة النسب بينه وبين أبيه آدم، فلا نخوض في ذلك كما فعل الذين ذهبوا إلى الإسرائيليات، وما ذكرته من نسبه وإن كان من الإسرائيليات لما ذكرته للعلم بما أوردته كتب التاريخ ولا أرى ضرورة الوقوف على تفاصيله ودقة الضبط له وان كانت كتب التواريخ قد اختلفت في ضبطه اختلافاً عظيماً. كذلك لم يثبت شيء في تحديد المكان الذي كان يقيم فيه قوم نوح عليه السلام، والذي عاش فيه نوح عليه السلام، ولا عن عمره الذي قضاه قبل أن يبعثه الله نبياً رسولاً.

كذلك لم يثبت شيء في تحديد أسماء أولاده أو عددهم، أو زوجته، أو اسم والديه. كل هذه الأمور من مبهمات القصص القرآني التي لم تبين في الآيات والأحاديث الصحيحة، ويجب أن نبقيها على إبهامها، وأن لا نذهب إلى الإسرائيليات والأساطير في محاولة تعيينها[2].

المطلب الثاني: أسرة نوح عليه السلام .

الفرع الأول: والدا نوح عليه السلام وزوجته.

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن والدي نوح عليه السلام كانا مؤمنين صالحين، بدليل دعاء نوح عليه السلام لهما بالمغفرة: قال تعالى:﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴾ [نوح:28]. فلو لم يكونا مؤمنين به لما دعا لهما بالمغفرة [3].

أما زوجة نوح فاسمها (واعلة ـ كما ذكر ذلك في بعض كتب التفسير ـ. يقول القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود:40] ﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾ أي واحمل اهلك.﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ ﴾ ﴿ مَن ﴾ في

---

1 - عباس. **قصص القرآن الكريم** (ص:175).

2 - الخالدي. **القصص القرآني** (157/1) بتصرف.

3 - انظر.القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (313/18)، والخالدي. **القصص القرآني** (180/1).

موضع نصب بالاستثناء. ﴿ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ منهم أي بالهلاك؛ وهو ابنه كنعان وامرأته واعلة كانا كافرين[1].

"وقد اختلف في اسم زوجة نوح عليه السلام فمرة (واعلة) ومرة (والهة) وأخرى (واغلة) كما نقل ذلك الضحاك عن عائشة -رضي الله عنها-"[2]. وأرى أن مرد ذلك الإسرائيليات، ولو كان الأمر تتعلق به كبير فائدة لذكرها القرآن أو نصت عليه الأحاديث الشريفة، لذلك فمن الأولى أن نضرب على الخوض فيه صفحاً.

وقد ذكر القرآن الكريم أن زوجة نوح عليه السلام كانت كافرة بدليل قوله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٍ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: 10].

قال الزمخشري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم مع غير إبقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لُحمة نسب أو وصلة صهر، لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبتَّ الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط: لمّا نافقتا وخانتا الرسولين لم يُغنِ الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة:﴿ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ﴾ سائر﴿ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾الذين لا صلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط... فإن قلت: ما كانت خيانتهما؟ قلت: نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين؛ فامرأة نوح قالت لقومه إنه مجنون، وامرأة لوط دلت على ضيفانه[3]. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمجٌ في

---

1 - انظر. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (35/9)، والزحيلي. د.وهبة الزحيلي **التفسير الوسيط.** دار الفكر المعاصر (بيروت) دار الفكر(دمشق) ط1: 1422هـ - 2001م (2694/3).

2 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(35/9).

3 - أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في التلخيص. انظر. الحاكم. أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت: 405هـ) **المستدرك على الصحيحين**(5مج)دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1411هـ -1990م. دراسة وتحقيق:مصطفى عبد القادر عطا(538/2).

الطباع نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويُسمّونه حقاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما - (ما بغت امرأة نبيٍ قط)" [1].

وقد ذكر الشوكاني رحمه الله - الإجماع على ذلك حيث قال :" ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي فوقعت منهما الخيانة لهما. قال عكرمة والضحاك: بالكفر وقيل : كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط. وقيل كانت خيانتهما النفاق، وقيل خانتاهما بالنميمة ﴿... فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا... ﴾[التحريم:10] أي فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئاً من النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله شيئاً من الدفع"[2].

وقد علق سيد قطب رحمه الله على هذه الخيانة بقوله:" والمأثور في تفسير خيانة امرأة نوح وامرأة لوط، أنها كانت خيانة في الدعوة وليست خيانة في الفاحشة .

امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه؛ وامرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه وهي تعلم شأنهم مع ضيوفه!... فالإشارة القرآنية تعني حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص والأشخاص مجرد أمثلة لهذه الحقيقة.

إن مبدأ التبعية الفردية يراد إبرازه هنا، بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار. كما يراد أن يقال لأزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- وأزواج المؤمنين كذلك: أن عليهن أنفسهن بعد كل شيء.

فهن مسؤولات عن ذواتهن، ولن يُعفين من التبعة أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين! وها هي ذي امرأة نوح. وكذلك امرأة لوط.﴿ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا

---

1 - الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:538هـ) **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة) ط الأخيرة: 1392هـ - 1972م (130/4 -131)، وابن القيم. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي(ت:751هـ) **الأمثال في القرآن الكريم**(جزء واحد) دار المعرفة (بيروت). تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب (ص:262 -263).

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (170/28) عن الضحّاك. وأورده السيوطي في **الدر المنثور**(377/6) عن ابن عباس وعزاه لابن المنذر. انظر. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**(6مج)دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1411هـ -1990م.

2 - الشوكاني. محمد بن علي بن محمد (ت:1250هـ) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**(5مج) دار إحياء التراث العربي (بيروت) (بلا)ط (255/5).

صَٰلِحَيۡنِ ﴾ .. ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾..﴿ فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا ﴾..﴿ وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾.

فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان. وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج النبي!"[1].

"وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن ما تعلقوا به من دون الله من قرابة، أو صهر، أو نكاح، أو صحبة ينفعهم يوم القيامة، أو يُجيرهم من عذاب الله أو يشفع لهم عند الله.
وهذا أصل ضلال بني آدم، وشركهم وهو الشرك الذي لا يغفره الله.
وهو الذي بعث الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه بإبطاله ومحاربة أهله، ومعاداتهم"[2].

الفرع الثاني: أولاده.

لقد نص القرآن الكريم على كفر أحد أبناء نوح عليه السلام" قيل: اسمه كنعان وقيل :يام"[3] ولم يثبت اسمه في شرعنا فلا نلهث في ضبطه.

قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾[هود:42 -44].

"هذه الآيات تصف لنا المشهد الهائل المرهوب: مشهد الطوفان:

إن الهول هنا هولان. هول في الطبيعة الصامتة وهول في النفس البشرية يلتقيان: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ﴾.

وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد:

---

1 - قطب. سيد إبراهيم (ت:1387هـ) **في ظلال القرآن** (6مج) دار الشروق (بيروت) ط9: 1400هـ - 1980م. (3621/6).

2 - ابن القيم. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت:751هـ) **تفسير القيم** (جزء واحد) دار الكتب العلمية (بيروت) (بلا)ط: 1398هـ - 1978م. جمع وتحقيق محمد أويس الندوي ومحمد حامد الفقي (ص:496).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (35/9 -38).

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدّر مدى الهول الشامل:
﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾.

ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير:﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾.

لا جبال ولا مخابئ ولا حام ولا واق إلا من رحم الله. وفي لحظة تتغير صفحة المشهد. فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء:
﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾.

وإننا بعد آلاف السنين، لنمسك أنفاسنا - ونحن نتابع السياق - والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد. وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء. وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب ! وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية - بين الوالد والمولود - كما يقاس بمداه في الطبيعة، والموج يطغى على الذرى بعد الوديان وإنّهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامتة وفي نفس الإنسان. وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن.

وتهدأ العاصفة، ويخيم السكون، ويُقضى الأمر، ويتمشى الاستقرار كذلك في الألفاظ وفي إيقاعها في النفس والأذن:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود:44].

ويوجه الخطاب إلى الأرض وإلى السماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل فتبلع الأرض ماءها، وتكف السماء :﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي...﴾ ﴿...وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ...﴾ابتلعته الأرض في جوفها وغار من سطحها ﴿...وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ...﴾ ونفذ القضاء ﴿... وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ...﴾ورست رُسُوَ استقرار على جبل الجودي ﴿...وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ وهي جملة مختصرة حاسمة معبرة عن جوها أعمق تعبير ﴿ وَقِيل ﴾ على صيغة المجهول فلا يذكر من قال، من قبيل لف موضوعهم

ومواراته ﴿...وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ بعداً لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعداً لهم من رحمة الله فقد لعنوا، وبعداً لهم من الذاكرة فقد انتهوا وما عادوا يستحقون ذكراً ولا ذكرى!.

والآن وقد هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت على الجودي الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[هود:45] رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني بنجاة أهلي وإن وعدك الحق، وأنت احكم الحاكمين فلا تقضي إلا عن حكمة وتدبير.

قالها يستنجز ربه وعده في نجاة أهله، ويستنجزه حكمته في الوعد والقضاء. وجاء الرد بالحقيقة التي غفل عنها. فالأهل عند الله وفي دينه وميزانه - ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة. وهذا الولد لم يكن مؤمنا، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن.. جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد وفي ما يشبه التقريع والتأنيب والتأديب﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[هود:46] إنها الحقيقة الكبيرة في هذا الدين. حقيقة العروة التي ترجع إليها الخيوط جميعا. عروة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد مالا يربطه النسب والقرابة ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ فهو منبتّ منك وأنت منبتّ منه، ولو كان ابنك من صلبك، فالعروة الأولى مقطوعة، فلا رابطة بعد ذلك ولا وشيجة"[1].

وقد ذكر المفسرون في نسب ابن نوح ثلاثة أقوال هي: أولاً: أنه ابنه من صلبه. ثانياً: أنه ابن امرأته. ثالثاً: وُلد على فراشه لغير رُشدةَ.(أي من الزنا).

والذي يظهر أنه ابن نوح عليه السلام من صلبه؛ لأن القرآن نص على ذلك فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقرينة ولا يوجد قرينة.

ولقد ذكر الرازي - رحمه الله - حكاية الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه نادى ابنه، قال:" وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اختلفوا في أنه كان ابناً له، وفيه أقوال:

---

1 - قطب. **في ظلال القرآن** (1878/4 -1880)، وانظر. الجصّاص. أبو بكر أحمد بن علي الرازي(ت:370هـ) **أحكام القرآن**(5مج) دار إحياء التراث العربي(بيروت)ط1: 1405هـ -1985م. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي(377/4 -378) والبلتاجي. محمد الأنور أحمد. **من وصايا القرآن الكريم**(جزء واحد) دار التراث العربي(بيروت)ط2: 1405هـ - 1985م.(ص:387/388).

القول الأول: أنه ابنه في الحقيقة، والدليل عليه انه تعالى نص عليه فقال﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ ونوح أيضا نص عليه فقال ﴿ يَـٰبُنَىَّ ﴾ وصرف هذا اللفظ إلى أنه ربّاه، فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة وانه لا يجوز، والذين خالفوا هذا الظاهر إنما خالفوه لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً، وهذا بعيد، فإنه ثبت أن والد رسولنا ﷺ، ووالد إبراهيم عليه السلام كانا كافرين بنص القرآن، فكذلك هاهنا، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام لما قال:﴿...رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح:26] فكيف ناداه مع كفره ؟

فأجابوا عنه من وجوه:

الأول: أنه كان ينافق أباه فظن نوح أنه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما أحب نجاته.

والثاني: أنه عليه السلام كان يعلم انه كافر، لكنه ظن انه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل الإيمان فصار قوله:﴿ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ كالدلالة على انه طلب منه الإيمان وتأكد هذا بقوله ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي تابعهم بالكفر واركب معنا.

والثالث: أن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك النداء، والذي تقدم من قوله:﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ كانت كالمجمل فلعله عليه السلام جوّز أن لا يكون هو داخلاً فيه.

القول الثاني: أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد بن علي الباقر، وقول الحسن البصري: ويروى أن علياً رضي الله عنه قرأ (ونادى نوح ابنها) والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي وعروة ابن الزبير (ابنه) بفتح الهاء يريدان (ابنها) إلا أنهما اكتفيا بالفتحة عن الألف، وقال قتادة:سألت الحسن عنه فقال: والله ما كان ابنه فقلت: إن الله حكى عنه أنه قال (إن ابني من أهلي) وأنت تقول: ما كان ابناً له، فقال: لم يقل إنه منّي ولكنه قال: من أهلي وهذا يدل على قولي.

القول الثالث: أنه وُلد على فراشه لغير رُشدة (أي من الزنا)، والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ وهذا قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة لا سيَّما وهو على خلاف القرآن. أما قوله تعالى :﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ فليس فيه أن تلك الخيانة إنما حصلت بالسبب الذي ذكروه. قيل لابن عباس -رضي الله عنهما -:ما كانت تلك الخيانة ؟ فقال:كانت امرأة نوح تقول:زوجي مجنون، وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به.

ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى:﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ...﴾[النور:26] وأيضا قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[النور:3] وبالجملة فقد دللنا على أن الحق هو مع القول الأول"[1].

ولقد دحض الآلوسي - رحمه الله - القول الثاني والثالث. فقال:"... وعن علي ﷺ أنه قرأ ابنها على أن ضمير التأنيث لامرأته، وفي إضافته إليها إشعار بأنه ربيبه لأن الإضافة إلى الأم مع ذكر الأب خلاف الظاهر، وإن جوّزوه، ووجه بأنه نسب إليها لكونه كافرا مثلها وما يقال من أنه كان لغير رشده لقوله سبحانه:﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فإن الله تعالى قد طهر الأنبياء عليهم السلام عما هو دون ذلك من النقص بمراحل فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بإصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين، ونسبة هذا القول إلى الحسن، ومجاهد -كما زعم الطبرسي - كذبٌ صريح"[2].

ومن غريب ما ذُكر في نسب ابن نوح عليه السلام ما ذكره الشيخ عبد الوهاب النجار -رحمه الله تعالى- حيث أنه لا يقول بعصمة نساء الأنبياء عن اقتراف جريمة الزنا، مع إقراره بعدم اقتراف زوجة نوح عليه السلام هذه الجريمة لا هي ولا غيرها من زوجات الأنبياء. وقد ردَّ عليه أعضاء اللجنة المكونة من عدد من المشايخ في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف للنظر في كتابه (قصص الأنبياء). وكان ردهم بعصمة زوجات الأنبياء من الزنا، وقد بسطوا أدلتهم وأوضحوا قولهم في الرد عليه ودحض شبهته[3].

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الشيخ عبد الوهاب النجار هو فذلكة كلام كما صرح هو بذلك حيث قال:" ومناقشتي هذه لا تعدو أن تكون كقول الأصوليين: يجوز أن يكلف الله تعالى بالمُحال ولكنه لم يقع، وبقول بعض المتكلمين: إن الكفر جائز على الأنبياء عقلاً، ولكنه غير واقع فعلاً "[4].

---

1 - الرازي.أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي الطبرستاني (ت:606هـ) **التفسير الكبير**(16مج) دار الكتب العلمية(طهران) ط2: (230/17).

2 - الآلوسي. أبو الفضل شهاب الدين محمود. (ت: 127هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (30مج) مكتبة دار التراث(القاهرة) (بلا) ط (58/12).

3 - انظر. النجار.عبد الوهاب، **قصص الأنبياء**(جزء واحد)، دار التراث العربي(بيروت) ط3: (ص:41-45).

4 - المصدر السابق (42).

وأنا مع القول بعصمة زوجات الأنبياء من الزنا؛ لأن العصمة إما أن تكون من الله صراحة كقوله تعالى لنبينا - عليه الصلاة والسلام - ﴿...وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة:67] وإما أن تقع ضمناً كعصمة زوجات الأنبياء من الفاحشة، والله تعالى أعلم.

هذا في شأن ابن نوح عليه السلام الذي ﴿... سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ...﴾[هود:40]﴿... فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾[هود:43] أما بالنسبة لباقي أولاد نوح عليه السلام فقد قال الفخر الرازي -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾[الصافات:76 -77] " قوله:﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته قد فنوا، قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك" [1]. وقد أيده في ذلك الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره[2] وقد روى الإمام أحمد عن النبي عليه الصلاة والسلام- قال: (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم) [3].

وفي ذلك دليل على أن بعض أبناء نوح عليه السلام واقعون ضمن وعد الله وعهده لنوح أن ينجيهم ﴿...مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾. ومن الأدلة- كذلك - على أن بعض أبناء نوح عليه السلام كانوا من المؤمنين: وصية نوح لابنه والتي رواها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:(كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل البادية، عليه جبة سيجان، مزرورة بالديباج، فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس، قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال: ورفع كل راع ابن راع! فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جبته، وقال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل! ثم قال عليه الصلاة والسلام-: إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية:آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله. فإن السماوات السبع والأراضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا اله إلا الله في كفة،

---

1 - الرازي. **التفسير الكبير**(145/26).

2 - انظر.الطبري.أبو جعفر محمد بن جرير(ت:310هـ) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**(30مج) شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط3: 1388هـ -1968م.(66/23).

3 - أخرجه احمد. **مسند الإمام احمد** (292/33) والحاكم. **المستدرك على الصحيحين** وصححه(595/2) ووافقه الذهبي في التلخيص وحسنه العراقي في فيض القدير للمناوي. انظر. محمد عبد الرؤوف(ت:)**فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**(6مج)دار الفكر(بيروت) (بلا)ط (83/4) وحسنه السيوطي في **الجامع الصغير**. انظر. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر(ت:911هـ) **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**(2مج) دار الفكر(بيروت)ط1: 1401هـ -1981م(40/2).

رجحت بهن لا اله إلا الله. ولو أن السماوات السبع والأراضين السبع، كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا اله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن: الشرك، والكِبر) [1].

المطلب الثالث: البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح ﷺ .

الفرع الأول: البيئة التي نشأ فيها نوح ﷺ .

مما لا شك فيه أن للبيئة التي ينشأ بها الإنسان، والجو الذي يحيط به أثراً بالغاً في حياته، فسيرة الأنبياء وتاريخ العظماء يشهدان الأثر البالغ في تكوين شخصياتهم وصقل عقولهم، وتهذيب نفوسهم، وتشكيل مواهبهم. خاصة في المراحل الأولى من حياتهم.

وما دام للوسط الذي يعيش فيه الإنسان هذا الأثر الكبير في التنشئة والإعداد، فلا بد إذن أن نقف قليلا مع بعض ميزات هذا الوسط الذي نشأ فيه نوح ﷺ .

إن من أهم هذه الميزات التي تميز هذا الوسط الذي نشأ وعاش فيه نوح ﷺ هو:

أنه ابن لأبوين مؤمنين صالحين، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم عند دعاء نوح لهما وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ...﴾ [نوح:28] أما بالنسبة لبقية أفراد أسرته فقد نص القرآن الكريم على كفر أحد أبنائه وزوجته -وقد فصلنا القول في ذلك سابقاً- أما ما تبقى منهم فقد أشار القرآن إلى إيمانهم ونجاتهم معه قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[هود:40].

وكذلك ما جاء في وصية نوح ﷺ لابنه لما حضرته الوفاة[2]. يحمل إشارة واضحة بأن بعض أبنائه. كانوا مؤمنين ناجين هذا بالنسبة للبيئة الأسرية التي نشأ وعاش فيها نوح ﷺ أما بالنسبة للبيئة المجتمعية والمحلية فقد كانت كما وصفها القرآن الكريم عند قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح:23] هذه الآية تؤكد أن نوحاً ﷺ لما جاء إلى قومه، وجدهم يعبدون الأصنام والأوثان، ويعدونها الآلهة، فنهاهم عن عبادتها، وأمرهم بتوحيد الله، ولكن الملأ من قومه رفضوا دعوته.

---

1 - أخرجه احمد. مسند الإمام أحمد (170/2)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. انظر.محمد ناصر الدين (ت: 418هـ) **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها** (8مج) مكتبة المعارف (بلا) ط:1415هـ -1995م (259/1 -260).

2 - سبق تخريجه (ص:69).

كيف عبد قوم نوح الأصنام؟

لقد روى البخاري حديثاً موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما - في كيفية انحــراف قوم نوح، وعبادتهم لتلك الأصنام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما - :(صارت الأوثان التي كانت في قــوم نــوح فــي العرب بعد، أما (وَدٌّ) كانت لكلب. بدومة الجندل وأما (سواع) كانت لهذيل وأما (يغوث) فكانت لمراد، ثم لبني غُطَيف بالجَوْف، عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان وأما (نسر) فكانت لحمير، لآل ذي الكَلاع أسماءُ رجال صالحين، من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قــومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون - أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت)[1].

الفرع الثاني: المكان الذي عاش فيه نوح ﷺ.

قال تعالى﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هـــــــود:44] ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾ حددت هذه الجملة من الآية المكان الذي استوت واستقرت عليه سفينة نوح ﷺ إنه (الجودي).

قال ياقوت الحموي عن (الجوديّ) في(معجم البلدان):" الجوديّ: ياؤه مشددة. وهو جبــل مطل على جزيرة ابن عمر، في الجانب الشرقي من دجلة، من أعمال الموصل، عليــه اســتوت سفينة نوحﷺ ، لما نضب الماء"[2].

وجزيرة ابن عمر هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات، في شمال العراق.

وجبل(الجوديّ) مطل على الجزيرة، وهو قريب من مدينة الموصل العراقية المعروفــة، كما ذكر ذلك القرطبي -رحمه الله- في تفسيره[3]. وما زال اسمه حتى الآن جبل(الجوديّ) وهو جبل معروف هناك.

ولقد ذكر الدكتور شوقي أبو خليل في (أطلس القرآن) مكان قوم نوح، وجبل الجــودي، والعصور التي مر بها التاريخ القديم لبلاد الرافدين فقال:"كان قوم نوح في جنوبِ العراق، حول

---

1 - البخاري. **الجامع الصحيح** كتاب تفسير القرآن. باب(ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق) رقم (4920) (86/3).

2 - الحموي. أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:626هـــ) **معجم البلدان**. دار صادر(بيروت) (بلا)ط (179/2).

3 - انظر. القرطبي. **الجامع لأحكام القران** (9/ 41).

موقع مدينة الكوفة حالياً. والجوديّ: جبل قبالة جزيرة ابن عمر، عند ملتقى الحدود السورية - التركية حالياً، على الضفة الشرقية لنهر دجلة، ويرى جبل الجودي بوضوح من بلدة (عين ديوار) السورية"[1].

ومما يذكر من الناحية التاريخية[2] أن التوراة قد ذكرت روايتين متناقضتين للطوفان، فالرواية الأولى:

الرواية اليهودية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، والرواية الثانية: الرواية الكهنوتية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد والتي أخذت هذا الاسم لأنها من تأليف الكهنة في ذلك العصر. وقد نقل المهتدي الفرنسي البروفيسور(موريس بوكاي) عن الأب ديفو قوله" وهذه النصوص متعددة الأصول ولا تتمتع بالوضوح إلا من حيث تعاقب الأحداث، فبين النصين توجد تناقضات صارخة، فهما حكايتان للطوفان تختلف فيهما العوامل التي أدت إلى الطوفان، كما يختلف زمن وقوعه، ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة"[3].

فعلى حسب الرواية الكهنوتية عن ركاب السفينة:جاء الأمر إلى نوح بأن يحمل معه جميع أسرته بدون استثناء - بما فيهم ابنه الكافر - وزوج من كل نوع من أنواع المخلوقات.

وعلى حسب الرواية اليهودية المعدلة - وهي الموجودة في الكتاب المقدس الآن - زوج من كل حيوان طاهر ونجس، بالإضافة إلى نوح وبنيه جميعاً. ورد في العهد القديم قوله:" فدخل نوح وبنوه، وامرأته، ونساء بنيه معه، إلى الفلك، من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست طاهرة، ومن الطيور، و كل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوحٍ إلى الفلك ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحاً"[4].

وتقرر التوراة أن السفينة استقرت " في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال"[5].

1 - أبو خليل. د. شوقي، **أطلس القرآن**(جزء واحد) دار الفكر المعاصر(بيروت) دار الفكر(دمشق) ط1: 1423هـ - 2002م (ص:24 -27) باختصار.

2 - انظر هذا الموضوع. بوكاي. موريس. **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**(جزء واحد) دار المعارف(لبنان)ط4: 1977م (ص:244) وعباس. فضل حسن وسناء فضل حسن. **إعجاز القرآن الكريم** (جزء واحد)دار الفرقان(عمان) (بلا) ط:1412هـ -1991م (ص:150 -152)، والخالدي.صلاح عبد الفتاح. **البيان في إعجاز القرآن**(جزء واحد) دار عمار(عمان) ط3: 1413هـ -1992م(ص:237 -241).

3 - بوكاي. موريس. **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**(ص:244).

4 - **الكتاب المقدس(أي العهد القديم والعهد الجديد)**(جزء واحد) **سفر التكوين. الإصحاح السابع**: دار الكتاب المقدس(في الشرق الأوسط) ط(بلا)1996م(ص:12).

5 - المصدر السابق. **الإصحاح الثامن.** (ص:13).

ورواية يهودية أخرى فيها تمييز، بين الحيوانات الطاهرة من ناحية، وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى.

وواضح أن روايات التوراة المتناقضة فيما بينها، وهي مثيرة للنقد الموضوعي، أما رواية القرآن فهي خالية من أي عنصر مثير للنقد. فعند قراءتنا للرواية القرآنية حول الطوفان فإننا نجد فروقاً ثلاثة:

الفرق الأول: هو أن القرآن حين يتحدث عن كارثة الطوفان، يتحدث عنها باعتبارها عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح، ولكن التوراة تجعله عقاباً عالمياً.

الفرق الثاني: القرآن لا يحدد زماناً للطوفان، أما الرواية الكهنوتية فإنها تحدد زمن الطوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع فيه كارثة من هذا النوع، خاصة أن هذا العصر قد ازدهرت فيه حضارات كثيرة في مصر وغيرها، فلا يمكن أن يحدث الطوفان في هذا الزمن.

الفرق الثالث: إن القرآن الكريم يحدد بشكل صريح محتوى سفينة نوح، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[هود:40] أما التوراة فان بين رواياتها تناقضاً صريحاً وواضحاً.

وعلى ذلك فان الرواية التوراتية متهافتة وضعيفة ولا تتفق مع مكتسبات المعرفة الحديثة، بعكس الرواية القرآنية الخالية من كل ما يثير النقد الموضوعي.

وحول هذا (الإعجاز التاريخي) والتصويب القرآني، يقول البروفيسور(موريس بوكاي) - بعد أن أورد الاختلاف بين روايات القرآن عن الطوفان - :" فمن عصر رواية التوراة إلى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات، من شأنها أن تلقي نوراً على حدث مثل هذا؟ بالتأكيد لا. فمن العهد القديم إلى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة، هي التوراة بالتحديد. وإذا لم تكن العوامل الإنسانية تستطيع أن تشرح التغيرات التي طرأت على الروايات لتتجه بها إلى التوافق مع المعارف الحديثة فيجب أن نقبل شرحاً آخر وهو أن هناك تنزيلاً من الله قد جاء بعد التنزيل الذي تحتوي التوراة عليه"[1].

وبعد... فان هذا الاختلاف والتناقض الواضح بين روايات التوراة ونصوصها لهو دليل من أوضح وأصدق الأدلة على مصدر القرآن، وأنه كلام الله وليس تأليف محمد -عليه الصلاة والسلام- وتحقُّق الإعجاز التاريخي في أخبار القرآن عن أحداث السابقين، وبهذا فقد انتصر القرآن الخالد على التوراة المحرفة، والحمد لله رب العالمين.

---

1 - بوكاي. **دراسة الكتب المقدسة**(ص:248). س

المطلب الرابع:عمره ووفاته:

عاش نوح ﷺ عمراً مديداً طويلاً وقد أخبرنا الله تعالى عن بعض مقدار عمره، لا كله. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت:14].

قال ابن عاشور عند تفسير هذه الآية:" وظاهر الآية أن هذه مدة رسالته إلى قومه ولا غرض في معرفة عمره يوم بعثه الله إلى قومه، وفي ذلك اختلاف بين المفسرين"[1].

وقد ذكر ابن الجوزي هذا الاختلاف فقال:"قوله تعالى:﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

اختلف المفسرون في عمر نوح على خمسة أقوال:

أحدها: بُعث بعد أربعين سنة وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:(بعث الله نوحاً لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنةٍ حتى كثر الناس وفشوا)[2].

الثاني: أنه لبث ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد ذلك سبعين عاما فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين سنة.

الثالث: أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة.

الرابع: أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ودعاهم ثلاثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.

الخامس: أن الآية بينت مقدار عمره كله."[3].

وأما الإمام الفخر الرازي -رحمه الله- فقد ذكر عند تفسيره هذه الآية أقوال بعض المفسرين في الاستثناء الوارد في الآية فقال:

---

1 - ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت:1393هـ) **التحرير والتنوير**(30مج) مؤسسة التاريخ (بيروت) ط1: 1420هـ -2000م (146/20).

2 - رواه الحاكم. **المستدرك على الصحيحين.** كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين. باب(ذكر نوح النبي ﷺ)برقم(4005)(595/2) وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

3 - ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ) **زاد المسير في علم التفسير** دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1414هـ -1994م. (130/6).

"قال بعض العلماء الاستثناء في العدد تكلّم في الباقي، فإذا قال القائل لفلان علي عشرة إلا ثلاثة، فكأنه قال علي سبعة، إذا علم هذا فقوله ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ كقوله تسعمائة وخمسين سنة، فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟"[1]. وقد أجاب الزمخشري عن هذا التساؤل بفائدتين[2]:

إحداهما:أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فإن من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أن تقول ألف سنة تقريباً لا تحقيقاً، فإذا قال إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق. ولقد علق البيضاوي -رحمه الله- على اختيار هذه العبارة فقال:" ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع"[3].

الثانية: هي أن ذكر لبث نوح ﷺ في قومه كان لبيان أنه صبر كثيرا فالنبي ﷺ أولى بالصبر مع قصر مدة دعائه وإذا كان كذلك فذكر العدد الذي في أعلى مراتب الأعداد التي لها اسم مفرد موضوع، فإن مراتب الأعداد هي الآحاد إلى العشرة والعشرات إلى المئة والمئات إلى الألف، ثم بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة آلاف ومئة ألف وألف ألف.

وخلاصة القول في عمر نوح ﷺ أنه كان على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما بين ولادته ونبوته: وهذه لم يخبرنا الله عنها ولم تثبت في حديث صحيح، فلا نعرف شيئاً عن مكان ولادته ولا عن عمره يوم مبعثه.

المرحلة الثانية: ما بين نبوته والطوفان. وهي حوالي ألف سنة:﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت:14].

المرحلة الثالثة: ما بين نزوله من السفينة إلى وفاته، وهذه لم يخبرنا الله عنها، ولا ثبتت في صحيح الأخبار، فلا نخوض فيها. ثم إن الآيات والأحاديث الصحيحة لم تفصّل كيفية احتضار نوح ووفاتهﷺ، ولا كيفية دفنه، كما أنها لم تحدد المكان الذي دفن فيه، ولا البقعة التي كان قبره

---

1 - الرازي. **التفسير الكبير**(25/41 -42).

2 - الزمخشري. **الكشاف**(3/200) بتصرف.

3 - البيضاوي. أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت:691هـ) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي** (جزء واحد) دار الجيل (بلا) ط (ص:526).

فيها وبما أن النصوص المعتمدة قد سكتت عن ذلك، فنحن ملزمـــون أن نســـكت عنـــه، وأن لا نحاول أخذه من الإسرائيليات.

المبحث الثاني: خصائص نوح عليه السلام ومعالم شخصيته ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصائص نوح عليه السلام .

لقد خص الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً عليه السلام بجملة من الخصائص ورد ذكرها في القرآن الكريم:

الخصيصة الأولى: الثناء الحسن عليه في كل أمة.

لقد ترك الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ الثناء الحسن على نوح في كل أمة تأتي بعده.

وهذا ما يفهم من قولـــه تعـــالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ، سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: 78 -79].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير هـــذه الآيـــة:" قولـــه تعـــالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ أي تركنا عليه ثناءً حسناً في كل أمة، فإنه محبب إلى الجميع... وزعم الكســـائي[1] أن فيه تقديرين: أحدهما ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾يقال:﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ ﴾ أي تركنا عليه هذا الثناء الحسن. وهذا مذهب أبي العباس المبرد. أي تركنا هـــذه الكلمـــة باقيـــة؛ يعنـــي يسلمون عليه تسليماً ويدعون له .

والقول الآخر أن يكون المعنى وأبقينا عليه؛ وتم الكلام ثم ابتـــدأ فقـــال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ ﴾أي سلامة له من أن يذكر بسوء ﴿ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ قال الكســـائي: وفـــي قـــراءة ابـــن مسعود﴿ سَلَٰمٗا ﴾ منصوب ﴿ وَتَرَكۡنَا ﴾ أي تركنا عليه ثناءً حسناً سلاماً"[2].

---

1 - الكسائي. المحدث الإمام الرحال، أبو الحسن، علي ابن عبد الله بن محمد، الهمذاني الكِسائيُّ الصوفي(ت:445هـ) نزل مصر. انظر.الذهبي. **سير أعلام النبلاء** (652/17 -653).

2 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(90/15).

الخصيصة الثانية: قدوة الأنبياء.

فنوح عليه السلام قد جعله ــ الله تعالى ــ قدوة الأنبياء، ولم يبعث بعده نبياً إلا وأمره بالإقتداء به. قال تعــالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ...﴾ [الشورى:13].

قال القاضي ابن العربي -رحمه الله- "...واستقر المدى إلى نوح، فبعثــه الله بتــرحيم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء -صلوات الله عليهم- واحداً بعد واحد، شريعة بعــد شــريعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ وكأن المعنى: ووصــيناك يــا محمد ونوحا ديناً واحداً، يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة"[1].

الخصيصة الثالثة: أول أولي العزم من الرسل.

فقد كان نوح عليه السلام في مقدمة أولي العزم من الرســل قــال تعــالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ [الأحزاب: 7].

أي وأخذنا منك يا محمد الميثاق ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهؤلاء هم أولــو العــزم ومشاهير الرسل، وإنما قدمه -عليه الصلاة والسلام- في الذكر لبيان مزيد شرفه وتعظيمه[2].

الخصيصة الرابعة: أنه مستجاب الدعاء.

قال تعــالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات:75-79].

المعنى: تالله لقد دعانا نوح عليه السلام، ودعا على قومه بالهلاك لما أيس منهم، قائلاً:

1- ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله. **أحكام القرآن** (ت:543هــ) (2مج) دار الفكر(بيروت) (بلا)ط: (1666/2).

2- انظر.ابن الجوزي. **زاد المسير**(354/6)، والبيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (ص:114).

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح:26] بعد أن قضى دهرا طويلا يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى، فكذبوه وآذوه وهموا بقتله، وقد تضمن نداء نوح أي استغاثته أشياء: من الدعاء على قومه وسؤال النجاة، وطلب النصرة، وفي جميعها وقعت الإجابة، فقد أجاب الله دعاءه، وقوله تعالى:﴿ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ يتضمن الإجابة على أكمل ما أراد نوح عليه السلام .

وقد تضمنت الإجابة الوجوه التالية[1]:

1. نجينا نوحاً ومن آمن معه من الغم الشديد: وهو الغرق وتكذيب الكفرة.
2. وجعلنا ذريته وحدهم دون غيرهم هم الباقيين على قيد الحياة، وأهلكنا من كفر بدعائه.
3. وأبقينا عليه ثناءً حسناً فيمن يأتي بعده إلى آخر الدهر.

قال الطبري عن هذا السلام: " أمنة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء"[2].وقال ابن عطية:" وأثنى تعالى على نوح بالإحسان، لصبره على أذى قومه ومطاولته لهم وغير ذلك من عبادته وأفعاله ﷺ "[3].

" إن من مقتضيات الإيمان الصحيح بالله تعالى الإنجاء من المهالك والإسعاد في الدنيا والآخرة، وبقاء الأثر والسمعة الطيبة والذكر الجميل إلى آخر الدهر.
وعلى عكس ذلك فإن من مقتضيات الكفر بالله تعالى: الإيقاع في أنواع العذاب الأليم، والشقاء في الدنيا والآخرة، وسوء السمعة ومحل العظة والعبرة، والسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من كان عبرة وأثراً يذكر لغيره"[4].

الخصيصة الخامسة:الإحسان.

قال تعالى:﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات:80].

والمعنى أنا لما خصصنا نوحا عليه السلام بتلك التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن إبقاء ذكره الحسن في ألسنة جميع العالمين لأجل أنه كان محسنا، ثم علل كونه

1 - انظر هذه الوجوه. الزحيلي. **التفسير الوسيط** (2177/3).
2 - الطبري. **جامع البيان** (63/23).
3 - ابن عطية. علي محمد عبد الحق بن غالب(ت:646هـ) **المحرر الوجيز**(5مج)دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1413هـ-1993م. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.(477/4).
4 - الزحيلي. التفسير الوسيط (2177/3).

محسنا بأنه كان عبداً لله مؤمنا، والمقصود منه بيان أن أعظم الدرجات وأشرف المقامات الإيمان بالله والانقياد لطاعته[1].

وقد علق أبو السعود - رحمه الله - على قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال: " تعليل لما فعل به -عليه الصلاة والسلام- من التكرمة السنية من إجابة دعائه أحسن إجابة وإبقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان وذلك إشارة إلى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له -عليه الصلاة والسلام- وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف. والكاف المتعلقة بما بعدها أي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الإحسان لا جزاء أدنى منه.

وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات:81] تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال إيمانه وفيه من الدلالة على جلال قدرهما مالا يخفى"[2].

الخصيصة السادسة: أن أبا الأنبياء إبراهيمعليه السلام من شيعته.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات:83] لقد ذكر الفخر الرازي -رحمه الله- أن في هذه الآية مسألتين فقال:

المسألة الأولى: الضمير في قوله(من شيعته) إلى ماذا يعود؟ فيه قولان:

الأول: وهو الأظهر أنه عائد إلى نوح عليه السلام أي من شيعة نوح أي من أهل بيته وعلى دينه ومنهاجه لإبراهيم، قالوا: وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح، وأورد صاحب الكشاف أنه" كان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة"[3].

الثاني: قال الكلبي[1]:المراد من شيعته محمد لإبراهيم بمعنى أنه كان على دينه ومنهاجه فهو من شيعته وإن كان سابقا له، والأول أظهر، لأنه تقدم ذكر نوح عليه السلام، ولم يتقدم ذكر النبي ﷺ فعود الضمير إلى نوح أولى.

---

1 - انظر الرازي. **التفسير الكبير**(145/26) والخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت:741هـ) **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**. دار المعرفة (بيروت) (بلا)ط (20/4).

2 - أبو السعود. أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت:982هـ) **تفسير أبي السعود.إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. دار الفكر(بيروت) (بلا)ط: 1402هـ - 1982م.(539/4-540).

3 - الزمخشري. **الكشاف** (344/3).

المسألة الثانية:" العامل في (إذ) ما دل عليه قوله:﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لإبراهيم" [2].

الخصيصة السابعة: ثاني المصطفى -عليه الصلاة السلام - في الميثاق.

فنوح ﷺ هو ثاني نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- وتاليه في الميثاق الذي أخذه الله - سبحانه - من الأنبياء -عليهم السلام- فقال:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب:7] وهو كذلك ثاني المذكورين في الموحى إليهم قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ...﴾ [النساء:163].

الخصيصة الثامنة: الشكر.

قال تعالى -في وصفه نوحاً -:﴿...إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:3] .

"والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية"[3].

وقد قال الفخر الرازي -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية:" أي كان كثير الشكر... إلى أن قال: وإنما يكون العبد شكوراً لو كان موحدا لا يرى حصول شيء من النعم إلا من فضل الله"[4].

ولقد ذكر الآلوسي -رحمه الله- سبب تسمية نوح ﷺ عبداً شكوراً فقال:" (إنه) أي نوح ﷺ كان عبداً شكوراً كثير الشكر في مجامع حالاته"[5]. وقد ذكر - رحمه الله- أن الحاكم أخرج حديثاً في ذلك عن سلمان الفارسي" قال:كان نوح إذا طعم طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله

---

1 - الكلبي . أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث (ت:146هـ) صاحب" التفسير"، من أهل الكوفة. انظر. ابن سعد. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت:230هـ) **طبقات الكبرى** (9مج) دار الكتب العلمية (بيروت) ط1: 1410هـ - 1990م. دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا(341/6-342)، والسمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت:562هـ) **الأنساب** (5مج) دار الجنان (بيروت) ط1: 1408هـ - 1988م. تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي(86/5-87).

2 - الرازي. **التفسير الكبير**(145/26-146).

3 - الأثري. أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي **صحيح قصص الأنبياء** (جزء واحد) من منشورات الدعوة السلفية.(بلا)ط (ص:71).

4 - الرازي. **التفسير الكبير**(154/20).

5 - الآلوسي. **روح المعاني**.(15/15).

تعالى فسمي عبداً شكوراً "[1] وبعد أن ذكر -رحمه الله- الآثار الواردة قال:" وهذا من جملة شكره عليه السلام وفي هذه الجملة إيماء بأن إنجاء من معه عليه السلام كان من بركة شكره وحثاً للذرية على الإقتداء به وزجراً لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفر.." [2] .

ومقصود الآية: أنكم أيها البشر من ذرية نوح، وقد كان عبداً شكوراً موحداً لله تعالى، مقراً بآلائه ونعمه عليه، ولا يرى الخير إلا من عنده، فأنتم أحق بالإقتداء به، دون آبائكم الجهّال[3].

المبحث الثالث: علاقة نوح عليه السلام بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.

المطلب الأول: بين نوح وآدم عليهما السلام .

الفرع الأول: آدم عليه السلام أول الأنبياء.

فمن المعلوم أن آدم أبو البشر وهو أول نبي، بعثه الله إلى أولاده، فعلمهم دين الله، فقد ورد في الحديث عن أبي ذر قال:(... قلت: فأي الأنبياء كان أول يا رسول الله؟ قال: آدم، قلت: أو نبيٌ كان؟ قال: نعم نبيٌ مكلَّم ...) قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال :عشرة قرون) [4] وجاءت أجيال بعده على الإيمان والتوحيد، ثم طرأ عليهم الشرك والكفر بعد ذلك، وتمكن الشيطان من إغوائهم وإضلالهم فعبدوا الأصنام.

فبعث الله نوحاً عليه السلام نبياً ورسولاً، ليدعو هؤلاء الكفار المشركين إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

وقد أخبرنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام -أن نوحاً عليه السلام هو أول رسول إلى الأرض.

فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة المشهور:(ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقولون:أنت أول الرسل بعثه الله إلى أهل الأرض) [5]. قال ابن العربي -رحمه الله-: "وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول نبي بغير إشكال؛ لأن آدم لم يكن معه إلا بنوه، ولم تفرض له الفرائض، ولا شرعت له

---

1 - المصدر السابق(16/15). والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (392/2) ووافقه الذهبي في التلخيص.

2 - المصدر السابق(16/15).

3 - انظر القرطبي.**الجامع لأحكام القرآن**(213/10) والزحيلي. **التفسير المنير**(18/15).

4 - رواه البيهقي برقم (3576) باب(في الصيام)، وانظر. البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت:458هـ)**شعب الإيمان** (9مج) دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1421هـ-2000م. تحقيق: أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول. (291/3 -292).

5 - أخرجه البخاري. **الجامع الصحيح** كتاب تفسير القرآن باب (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً) برقم (4712) (269/3 -270)، ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب (أدنى أهل الجنة منزلة) برقم(332).انظر.مسلم= = أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت:261هـ) (5مج) دار إحياء الكتب العربية(القاهرة) (بلا)ط، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي (180/1 -181).

المحارم؛ وإنما كان تنبيها على بعض الأمور، واقتصاراً علـى ضـرورات المعـاش، وأخـذا بوظائف الحياة والبقاء، واستقر المدى إلى نوح، فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل، ويتناصـر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحدا بعد واحد، شريعة بعد شريعة، حتى ختمها الله بخيـر الملـل ملّتنا،على لسان أكرم الرسل نبيناﷺ وكأن المعنى: ووصيناك يا محمد ونوحاً ديناً واحداً، يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة، وهي: التوحيد،والصـلاة،والزكاة، والصـيام،والحج، والتقرب إلى الله تعالى بصالح الأعمال، والتزلف إليه بما يرد القلب والجارحة إليه، والصـدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وتحريم الكفر، والقتل، والزنا، والإذاية للخلق، كيفما تصرفت، والاعتداء على الحيوان كيفما كان، واقتحام الدناءات، وما يعود بخرم المروءات. فهذا كله شرعَ ديناً واحداً وملة متحدة لم يختلف على ألسنة الأنبياء، وان اختلفت أعدادهم، وذلك قوله تعالى :(أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) أي اجعلوه قائماً، يريد دائماً مستمراً، محفوظاً مستقراً من غير خلاف فيه، ولا اضطراب عليه. فمن الخلق من وفّى بـذلك، ﴿...فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ ...﴾ [الفتح:10] ومنهم من نكث به، ومن نكـث فإنمـا ينكـث علـى نفسه.واختلفت الشرائع وراء هذا في معان حسبما أراده الله، مما اقتضته المصـلحة، وأوجبـت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم. والله أعلم"[1].

الفرع الثاني: نوح عليه السلام أول البشر:

لقد أكد الله تعالى رسالة نوح عليه السلام في غيرما موضع من كتابه العزيـز؛ ففـي سـورة الأعراف جاء قوله تعالى- :

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[الأعراف:59]، وفي السورة نفسها:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:61 - 62]، وقال تعالى في سورة هود:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ [هود:25]،وفي سورة

1 - ابن العربي.**أحكام القرآن**(1666/2 -1167) وانظر.القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**(10/16 -11) والخالدي. **القصص القرآني**(156/1 -157).

المؤمنون:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: 23]، وقال تعالى في سورة الشعراء:﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: 107] وفي سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 14]، وقال تعالى في سورة نوح:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح:1]، وقال في سورة الحديد:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: 26].

فهذه الآيات قد نصت صراحةً على أن الله تعالى - قد بعث نوحاًعليه السلام نبيا ورسولا إلى قومه، وقد ابتدأت هذه الآيات بقصة أول رسول بعثه الله لأهل الأرض فإن لأوليات الحوادث وقعاً في نفوس المتأملين في التاريخ.

وقد كان نوح بعد آدم عليهما السلام.

لقد اخبرنا الله انه بعث نوحاً نبياً ورسولاً إلى قومه. فقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح:1].

وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن نوحاًعليه السلام أول رسول للبشر، رجح هذا القول القاضي ابن العربي والإمام القرطبي -رحمه الله- وغيرهم[1].

القول الثاني: آدم عليه السلام هو أول رسول بعثه الله تعالى، ومن الذين رجحوا هذا الرأي القاضي عياض[2].

القول الثالث: إدريس عليه السلام هو الرسول الأول للبشر، وممن قال بهذا القول القاضي عياض والقاسمي على اعتباره إلياس[3].

1 - انظر.ابن العربي. **أحكام القرآن**(1666/4)، والقرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(232/7).

2 - انظر. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(233/7).

3 - انظر. القاسمي. محمد جمال الدين القاسمي (ت:1332هـ) **محاسن التأويل**(17مج) دار الفكر (بيروت) ط2: 1398هـ-س 1978م. تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي (135/7).

وقد علق سيد قطب - رحمه الله -على هذا الموضوع في كتابه (في ظلال القرآن)عند قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[نوح:1].

فقال:"... ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرسل بعد آدم عليه السلام. وآدم لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة؛ ولعله كان معلما لأبنائه وحفدته حتى إذا طال عليهم الأمد بعد وفاته ضلوا عن عبادة الله الواحد، واتخذوا لهم أصناما آلهة. اتخذوها في أول الأمر أنصابا ترمز إلى قوى قدسوها قوى غيبية أو مشهودة. ثم نسوا الرمز وعبدوا الأصنام !

وأشهرها تلك الخمسة التي سيرد ذكرها في السورة. فأرسل الله لهم نوحاً عليه السلام يردّهم إلى التوحيد،ويصحح لهم تصورهم عن الله وعن الحياة والوجود. والكتب المقدسة السابقة تجعل إدريس عليه السلام سابقاً لنوح. ولكن ما ورد في هذه الكتب لا يدخل في تكوين عقيدة المسلم، لشبهة التحريف والتزيد والإضافة إلى تلك الكتب "[1].

وقد رجح القرطبي -رحمه الله -القول الأول فقال :

" ونوح أول الرسل إلى الأرض بعد آدم -عليهما السلام -بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات"[2].

أما آدم عليه السلام فهو نبي وليس برسول، وهذا هو الراجح، والله أعلم. فمن المعلوم أن آدم أبو البشر هو أول نبي، بعثه الله إلى أولاده، فعلمهم دين الله.

ومما يرجح هذا أيضا ما يفهم من حديث الشفاعة الوارد في الصحيحين أن رسول الله قال:(يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء) [3].

فالشاهد في الحديث أن المؤمنين قالوا لآدم عليه السلام (أنت أبو البشر) [4]ولم يقولوا له كما قالوا لنوح عليه السلام : (يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض) [5] فلو كان رسولاً، أو أول الرسل لذكروا ذلك. والله أعلم.

---

1 - قطب. **في ظلال القرآن**(3710/6).

2 -القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (232/7).

3 - سبق تخريجه(ص:92).

4 - سبق تخريجه(ص:92)

5 - سبق تخريجه(ص:92).

أما إدريس عليه السلام فالراجح انه نبي وليس برسول والدليل على ذلك أن نبوة إدريس عليه السلام متأخرة في بني إسرائيل: ومن الأدلة على ذلك :

1 - أن القرآن أشار إلى قصته في سورتي مريم والأنبياء بعد إبراهيم وموسى وإسماعيل ولوط وداود وسليمان وأيوب وبعده كان الحديث عن يوسف وزكريا ويحيى وعيسى -عليهم الصلاة السلام -.

2 - الآية التي تحدثت عنه قارنته مع إسماعيل وذي الكفل، مما يوحي بأنه كان بعد إسماعيل وقبل ذي الكفل. والله أعلم.

3 - ومما يدل على أنه كان متأخراً في التاريخ أيضا حديث المعراج الوارد في الصحيحين[1] والشاهد في الحديث أن آدم وإبراهيم -عليهما السلام- خاطبا محمداً عليه السلام بالبنوة، وقالا له: مرحباً بالابن الصالح؛ وذلك لأن آدم هو أبو البشر، وإبراهيم هو أبو الأنبياء.

بينما الأنبياء الخمسة :عيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى -عليهم السلام -خاطبوا محمدا -عليه الصلاة والسلام - بالإخوة، وقالا له:مرحباً بالأخ الصالح.

وهذا يوحي بأن إدريس متأخر في هذا الزمان، فلو كان بعد آدم وقبل إبراهيم لقالا له كما قالا لمحمد عليه -الصلاة والسلام-: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح[2].

ومن الذين رجحوا القول بتأخر بعثة إدريس عليه السلام القاضي أبو بكر ابن العربي -رحمه الله - في كتابه أحكام القرآن[3]. وقد نقل السيوطي عن الحاكم قوله: "وأكثر الصحابة على أنه قبل إدريس"[4] .

ويبقى هنا تساؤل بسيط؛ وهو: هل أرسل إلى قوم نوح عليه السلام رسل غيره؟ هذه المسألة على قولين عند العلماء في تفسيرهم لهذه الآية: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[الشعراء:105].

الأول: أنهم وإن كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره، لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف؛ فمن حيث المعنى حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين.

الثاني: إن قوم نوح كذبوا بجميع رسل الله تعالى الذين أرسلهم إليهم[1].

---

1 - رواه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب الصلاة. باب(كيف فرضت الصلوات في الإسراء) برقم(394).(106/1) ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان.(باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة) برقم(263)(148/1 - 150).

2 - انظر. الخالدي. **القصص القرآني** (92/4 -94).

3 - انظر.ابن العربي. **أحكام القرآن**(1666/4).

4 - الحاكم.**المستدرك على الصحيحين**.كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين. باب(ذكر نوح النبي عليه السلام)(595/2) وانظر. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ) **الإتقان في علوم القرآن**(جزء واحد) دار المعرفة(بيروت)ط4: 1398هـ -1978م.(ص:175).

والذي يظهر أن القول الأول هو الأظهر والله اعلم. ذلك أن قوله:﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ "مجاز مرسل، من قبل إطلاق الكل وإرادة البعض، فإنه أراد بالمرسلين نوحاً، وذكره لصيغة الجمع تعظيم له وتنبيه على أن من كذب رسولاً. فقد كذب جميع المرسلين"[2] "وهذا مقطوع به، لأنه ما من نبي إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق، فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة، وكذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة :285] لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل، وتصديق واحد يوجب تصديق الكل، والله أعلم" [3].

يقول سيد - رحمه الله -:"وقوم نوح لم يكذبوا نوحاً.ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين...القرآن يؤكد هذا المعنى ويقرره في مواضع كثيرة، بصيغ متعددة، لأنه كلية من كليات العقيدة الإسلامية، تحتضن بها الدعوات جميعا؛ وتقسم بها البشرية كلها إلى صفين: صف المؤمنين وصف الكافرين، على مدار الرسالات ومدار القرون. وينظر المسلم فإذا الأمة المؤمنة بكل دين وكل عقيدة من عند الله هي أمته، منذ فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام دين التوحيد الأخير. وإذا الصف الآخر هم الكفار في كل ملة ودين. وإذا المؤمن يؤمن بالرسل جميعا، ويحترم الرسل جميعاً لأنهم جميعهم حملة رسالة واحدة هي رسالة التوحيد"[4].

واللافت للانتباه أن هذه المقالة بعينها جاءت في خمس آيات من سورة الشعراء على لسان خمسة أنبياء وهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام للتنبيه على وحدة رسالة الأنبياء الداعية إلى توحيد الله وطاعته، وترك عبادة ما سواه.

المدة بين آدم ونوح -عليهما السلام -:

لقد كان مولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم، وكان بينهم عشرة قرون. ودليل ذلك ما جاء عن أبي أمامة:(أن رجلاً قال: يا رسو الله! أنبي كان آدم؟ قال:نعم، مكلّم. قال:فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون) [5].

وهناك رواية موقوفة على ابن عباس -رضي الله عنهما -، قال:(كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) [1].

---

1 - انظر. الزمخشري (120/3)، والطبري (90/19)، والرازي (154/24).

2 - الزحيلي. **التفسير المنير** (183/19).

3 - الجرجاني.حاشية الجرجاني على الكشاف.انظر.الزمخشري. **الكشاف** (120/3).

4 - قطب. **في ظلال القرآن** (2607/5).

5 - سبق تخريجه(ص:91).

ومعنى القرن:

قال الإمام الراغب في المفردات:" الإقتران: كالإزدواج، في لونـــه اجتمـــاع شـــيئين أو أشياء، في معنى من المعاني. والقرن: القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون" [2].

قال ابن كثير - رحمه الله -:" فإن كان المراد بالقرن مائة سنة -كما هو المتبادر عند كثير من الناس -فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيّد به ابن عبـــاس ﷺ بالإسلام؛ إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام، لكن حـــديث أبـــي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون، وزادنا ابن عباس ﷺ:أنهم كلهم كانوا على الإسلام"[3]. "وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب: أن قابيل وبنيه عبدوا النار، والله أعلم"[4].

"وإن كان المراد بالقرن: الجيل من الناس؛ كما في قوله تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾[الإســـــراء:17]، وقولـــــــه:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون:31]، وقـــال تعـــالى: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾[الفرقـــان:28]، وقـــال:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ...﴾ [مريم :74]، وكقوله ﷺ :(خيركم قرني...) الحـــديث[5]؛ فقـــد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة؛ فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من الســـنين! والله أعلم "[6].

---

1 - أخرجه الحاكم. **المستدرك على الصحيحين**. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين برقم(4009) (596/2). وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال عنه الذهبي في التخليص: على شرط البخاري.

2 - الأصفهاني.الراغب(ت:425هـــ) **مفردات ألفاظ القرآن**(جزء واحد) دار القلم(دمشق) الدار الشامية(بيروت) ط1: 1412هـــ - 1992م.(ص:667). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. وسأشير إليه فيما بعد:الأصفهاني.**مفردات ألفاظ القرآن**.

3 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774هـــ) **قصص الأنبياء** (جزء واحد) دار الجيل (بيروت) ط3 :1405ه - 1985م. (ص:63 -64).تحقيق :د.السيد الجميلي، وانظر.الأثري.أبو أسامة سليم بن عيد الهـــلالي. **صحيح قصص الأنبياء** (جزء واحد)، من منشورات الدعوة السلفية(بلا)ط (ص:47 -48).

4 - المصدر السابق.

5 - أخرجه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب الشهـــادات،باب (لا يشهـــد على شهـــادة جور إذا أشهـــد)برقم (2651 و2652)(203/2 -204) ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب فضائل الصحابة. باب (فضل الصحابة) برقم (2533 و2535)(1962/4).

6 - ابن كثير. **قصص الأنبياء**(ص:63 -64).

وقد رجح الدكتور صلاح الخالدي -حفظه الله- أن المراد بالعشرة قرون بين آدم ونوح -عليهما السلام- حوالي عشرة آلاف سنة. وقد استند في ذلك إلى متوسط الأعمار بين آدم ونوح -عليهما السلام- وهو: ألف سنة.

والذي يظهر لي أن مدة القرن هي مائة سنة وذلك لأن إجابة النبي للصحابي الذي سأله عن المدة بين نوح وآدم عليهما السلام-، يفهم منها:أن المقصود بالقرن مائة سنة؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يتكلم بلسانه لأهل عصره وزمانه، فأعمار أمة محمد -عليه الصلاة والسلام- ما بين الستين والسبعين، وقليل منهم من يجوز ذلك، والأمر الآخر: أن هذا المعنى هو الذي يتبادر للذهن عند كثير من الناس- كما قال ابن كثير -رحمه الله-آنفاً، والله أعلم.

المطلب الثاني : بين نوح ومن بعده من الأنبياء.

الفرع الأول : نوح الأب الثاني للبشر.

قال تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام:84-86].

لقد جزم ابن جرير -شيخ المفسرين -بأن الضمير في ﴿ ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ لنوح وتابعه على ذلك بعض المفسرين، واحتجوا بأنه أقرب في الذكر وبأن لوطا ويونس ليسا من ذرية إبراهيم، وذهب سائر المفسرين إلى أن الضمير عائد إلى إبراهيمعليه السلام لأن الكلام في شأنه، وما آتاه الله تعالى من فضله، وإنما ذكر نوحاً لأنه جده، فهو لبيان نعم الله عليه في أفضل أصوله تمهيداً لبيان نعمه عليه في الكثير من فروعه[1].

ولقد علق ابن جرير -رحمه الله-على هذه القضية الخلافية في عود الضمير في ﴿ ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ فقال:"جزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر

1 - انظر.الطبري. **جامع البيان** (7/260-261)، والرازي. **التفسير الكبير** (64/13)، والمنار.**تفسير القرآن الحكيم** (586/7-588)، وابن عطية. **المحرر الوجيز**(316/2) باختصار وتصرف.

تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له، وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا، وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كل محسن"[1].

وهذا الذي جزم به ابن جرير -رحمه الله-هو الأظهر، والله أعلم؛ وذلك لأن الضمير يعود على أقرب مذكور عند أهل اللغة؛ وهو من باب الامتنان على نوح ﷺ من أن سلالة نوح وذريته أنبياء، فجعل من ذريته داوود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون -عليهم السلام-، فهي ذرية طيبة:﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ ﴾[آل عمران:34].

الفرع الثاني: فلسفة تكامل الرسالات .

"ونلاحظ أن حكمة الله العالية قد راعت في تنزيل الرسالات السماوية تطور الأمم في الأرض، من أمم بدائية محدودة العلاقات فيما بينها، منعزلة في قراها المتنائية،لا تجمع بينها صلات تجارية أو ثقافية أو سياسية، إلى أمم متحضرة متعلمة،تربطها ببعضها مختلف الصلات وتقرب بين بلادها وحواضرها وسائل المواصلات السريعة،التي اختصرت الشهور إلى ساعات من ليل أو نهار، وذللت مختلف الصعاب في الأنجاد والأغوار، وركبت الماء والهواء، واستخدمت النار والكهرباء، إلى غير ذلك من مكتشفات قوى الكون وطاقاته الكمينة"[2] .

ومن الملاحظ أن الشرائع في الرسالات السماوية قد تختلف وتتفاوت من أمةٍ إلى أمة في صورها وأشكالها لا في روحها ومعناها، وذلك بالنظر إلى اختلاف حاجات الأمم لأنواع الإصلاح والتوجيه. يقول القرطبي -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ...﴾[الشورى:13] " أي الذي له مقاليد السماوات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى؛ ثم بين ذلك بقوله تعالى:﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ وهو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً. ولم يُرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة؛ قال تعالى:﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾"[3][المائدة :48]."فمثلاً: قد تكون سيئات إحداها التطفيف في المكيال والميزان، وهي بحاجة إلى توجيه خاص يصلح هذه السيئة، بينما تكون سيئات أخرى

---

1 - الطبري. **جامع البيان** (260/7-261).

2 - الميداني.عبد الرحمن حسن حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**(جزء واحد)دار القلم(دمشق)ط2: 1399هـ - 1979م(ص:520).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(104/16).

عمل الفواحش، وسيئات ثالثة الظلم والعدوان وقتل الأنفس بغير حق، ومطالب أمة رابعة نظاماً قانونياً ينظم علاقات الناس التجارية، أو قانوناً ينظم علاقات الناس السياسية في السلم والحرب، وهكذا... وكل هذا في هذه الأمم المنعزلة يتطلب توجيهاً خاصاً، ولوائح تشريعية ذات طابع خاص، كما يدعو في هذه البيئات المحصورة المنعزلة أن تكون أحكامها وشرائعها التي يحملها الرسول المرسل إليها مما يناسب واقع علاقات هذه الأمم وأوضاعها سواء في الأسلوب، أو في موضوع الأحكام والشرائع، دون زيادة عن الحاجة، وبالطريقة التي تضمن أفضل وسائل العلاج لتلك الأمة.

فإذا ألقينا -مثلاً- نظرة على الشعوب البدائية التي لا تعرف من وسائل عيشها غير غُنيمات ترعاها؛ فتشرب من لبنها، وتأكل من لحمها، وتلبس من جلودها وتعيش في قراها أو بواديها التي تفيض خيراتها عن حاجاتها، نرى أن جل حاجاتها من أحكام الشرائع والقوانين :مبادئ العقائد وأسس العبادات، وجملة من الأخلاق، ونزر يسير من أحكام المعاملات. ثم نرى أنه من العبث بمكان بالنسبة إلى هؤلاء المنعزلين،الذين لا يدرون شيئاً عن مشاكل التجارة والصناعة والسياسة، أن يحمل إليهم نظام شامل عام، يبين القوانين المنظمة لصور البيوع والرهون والشركات، والعلاقات الدولية السياسية وغير السياسية ونحو ذلك، وهم لا يدرون في واقع حالهم من هذه المعاملات شيئا!!

أ- كل هذه النظرات مما يفسر لنا الحكمة من تدرج الشرائع السماوية، وتوسع حلقات أنظمتها، من مجموعة من رسل سابقين إلى جملة من رسل لاحقين، حتى خاتمة الرسالات السماوية.

ب- ومما يكشف لنا عن وجه الحكمة الربانية العظيمة، في تنبيه شعوب الأرض إلى واجبها، بحسب مستوياتها، وذلك على ألسنة الرسل.

ج- ومما يوضح لنا أيضاً وحدة الرسالات السماوية في تاريخ الأرض، بأسسها ومبادئها وغاياتها. كما يوضح تناسقها فيما بينها، وتكامل السابق منها باللاحق، بطريقة تدريجية رائعة، حتى كان إتمامها وختمها برسالة محمد - عليه الصلاة والسلام -"[1].

الفرع الثالث: تكاملية العلاقة بين نوح ﷺ وبين رسل الله جميعاً.

لقد طلب نوح ﷺ من قومه عبادة الله، ونهاهم عن عبادة غيره،قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف :59].

1 - الميداني. **العقيدة الإسلامية وأسسها** (ص:522 -523).

وقال تعالى :﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [هود :25-26].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[المؤمنون:23].

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى عبادة الله وإقامة الدين هو الغرض من بعثة الرسل -عليهم السلام- جميعا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل :36].

وقال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ...﴾[الشورى :13].

" ولذلك نرى أن أسس رسالات الرسل ومبادئ دعوتهم واحدة، لأنهم رسل مرسل واحد، فلا خلاف في العقائد التي دعوا إليها، ولا خلاف في روح العبادات التي أمروا بها"[1] "فرسالة نوح عليه السلام من حيث العقيدة، هي رسالة كل نبي، فهي الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، وإفراده بالعبادة والخضوع والطاعة، وفي تعريفهم على صفات الله وأفعاله، وفي الإيمان بالبعث والحساب،والجنة والنار، وفي تعريفهم ما خلق الله من حولهم من الملائكة والجن، والسماوات والأرض، والشمس والقمر"[2].

ومن هذا الباب أخبرنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أن نوحاً عليه السلام أنذر قومه بالدجال. فمنه ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :(ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدّثه نبيٌّ قومه؟ إنه أعور. وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار.فالتي يقول إنها الجنة، هي النار.وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه)[3].

---

1 - الميداني. **العقيدة الإسلامية وأسسها**(ص:520).

2 - الخالدي. **القصص القرآني**(166/1).

3 - أخرجه مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الفتن و أشراط الساعة باب(ذكر الدجال وصفته وما معه) برقم(2936) (2250/4).

" إن ظهور الدجال في آخر الزمان من مسائل العقيدة، وبما أن العقيدة واحدة عند جميع الرسل، فقد أنذر كل نبي قومه الدجال، وحذرهم منه، وما ذلك إلا لعظم فتنته" [1]

المطلب الثالث: بين نوح عليه السلام ومن بعده من الأقوام.

الفرع الأول: التشابه والتماثل في العلاقة بين قوم نوح عليه السلام ومن بعده من الأقوام.

لقد سبق الحديث في المطلب الثاني عن علاقة التكامل بين نوح عليه السلام والأنبياء من بعده؛ وفي هذا المطلب -إن شاء الله- سيكون الحديث عن علاقة التماثل والتشابه بين قوم نوح عليه السلام والأقوام الذين جاءوا من بعده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" وهو سبحانه كما يفرق بين الأمور المختلفة، فانه يجمع ويساوي بين الأمور فيحكم في الشيء خلقاً وأمراً بحكم مثله، فلا يفرق بين المتماثلين ولا يساوي بين شيئين غير متماثلين، بما أن كانا مختلفين متضادين لم يساو بينهما. وقد بين -سبحانه وتعالى- أنّ السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع. والسنّة هي العادة التي تتضمن ما يفعل في الثاني مثلما فعل بنظيره، ولهذا أمر -سبحانه وتعالى- بالاعتبار فقال:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ...﴾"[2][يوسف:111].

ومن الأدلة على قانون التماثل :

1- قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ ﴾ [إبراهيم:9].

والمعنى :" أن موسى قال لقومه ألم يأتكم خبر قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يحصي عددهم ولا يعرف نسبهم إلا الله؛ جاءتهم رسلهم بالحجج والدلالات، فردوا أقوالهم وكذبوهم وشككوا في صدقهم" [3].

2- وقال تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ

1- انظر سابق. سيد سابق، **العقائد الإسلامية**(جزء واحد)دار الكتاب العربي (بيروت)(بلا)ط :1406هـ -1985م (ص:178).

2- ابن تيمية. **مجموع الفتاوى** (19/13 وما بعدها).

3- القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (344/9-345) باختصار وتصرف.

فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾[إبراهيم:9].

وقال تعــالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[الأعراف :59].

وقال تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[الأعراف:65].

وقـــال تعـــالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾[الأعراف:73].

وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف:80].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾[الأعراف:85]. ويقول سيّد رحمه الله - في التعليق على هذه الآية:

"وها نحن أولاء في هذه السورة نلتقي موكب الإيمان يرفع أعلامه رسل الله الكـــرام : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى ومحمد -عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين - ونشهد كيف يحاول هذا الرهط الكريم -بتوجيه الله وتعليمه - إنقاذ الركب البشري من الهاوية التي يقوده إليها الشيطان وأعوانه من شياطين الإنس المتكبرين عن الحق في كل زمان. كما نشهد مواقـــف الصراع بين الهدى والضلال وبين الحق والباطل وبين الرسل الكرام وشياطين الجن والإنس ثم نشهد مصارع المكذبين في نهاية كل مرحلة ونجاة المؤمنين، بعد الإنذار والتذكير.

ولقد جاءت هذه الآيات في استعراض تاريخي لما كان بين الرسل وأقوامهم، وما صار إليه أمر هؤلاء الأقوام بعد تكذيب الرسل، والخروج على أمر الله.

ويستمر هذا العرض التاريخي لمشاهد النضال والدعوة من الرسل، ومشاهد الكفر والتكذيب من أقوامهم وعواقب هذا التكذيب التي حلت بالمكذبين"[1].

"والذي يظهر لنا مما سبق أن المكذبين لهم مسلك والصالحين لهم مسلك، وإن الذين يتساوون في موجبات العقاب من تكذيب الرسل أو عصيان شرع الله أو ظلم عباد الله أو الكفر بنعم الله وغير ذلك؛ إذا تلبس بها قوم أو فئة أو شخص استوجبوا عقاب الله في الدنيا والآخرة. ومن عقابهم في الدنيا هلاكهم أو إصابتهم بالذل والهوان وضيق العيش وزوال الأمن منهم والاطمئنان وغير ذلك، وبهذا مضت سنة الله في الأولين وتجري في الحاضرين واللاحقين"[2].

وهنا يعلق صاحب الظلال -رحمه الله فيقول:" وهنا يكشف السياق كذلك عن العلاقة بين القيم الإيمانية وسنن الله في أخذ الناس، حيث لا انفصال في خطوات قدر الله بين هذه السنن وتلك القيم. هذه العلاقة التي تخفى على الغافلين لأن آثارها لا تبدو في المدى القريب؛ ولكنها لابد واقعة في المدى الطويل.﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾"[3][الأعراف:96].

الفرع الثاني: بين نوح وأمة محمد عليه الصلاة والسلام -.

شهادة أمة محمدﷺ، لنوح عليه السلام.

إن أمة محمد ﷺ هي الأمة الوسط العادلة، هي أمة العدالة والشهادة، التي تحب الأنبياء السابقين جميعاً، ولذلك تشهد لهم بالصدق والعدل، لأنهم بلغوا أقوامهم، ولكن أقوامهم ينكرون ويكذبون، ومما يؤكد هذه الشهادة قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ [البقرة: 143].

ومن هذه الشهادات الصادقة العادلة، الشهادة التي يقدمونها لنوح عليه السلام يوم القيامة، وقد علموا ذلك من كتاب الله، ومن حديث رسول اللهﷺ، فآمنوا به وصدقوه، وشهدوا به.

---

1 - قطب. **في ظلال القرآن**(1302/3 وما بعدها)، وانظر.شلتوت.محمود.**تفسير القرآن الكريم**(جزء واحد) دار الشروق. ط(5):1973م. (ص:499 -500) وحوى. سعيد. **الأساس في التفسير**(11مج)دار السلام(القاهرة)ط1: 1405هـ -1985م (1931/4).

2 - زيدان، عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**(جزء واحد)مؤسسة الرسالة(بيروت)ط(3): 1414ه -1994م. (ص:167).

3 - قطب. **في ظلال القرآن.**(1327/3).

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(يجيء نوح وأمته. فيقول الله - تعالى -: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي ربي. فيقول لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا، مـــا جاءنا من نبي. فنقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته قال ﷺ : فتشهد أنه قد بلّغ، وهو قولـــه جـــلَّ ذكـــره:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا...﴾ [البقرة: 143]. والوسط: العدل)[1].

---

1 - أخرجه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب أحاديث الأنبياء. باب﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ...﴾ [هود:25] برقم(3339) (127/2).

الفصل الثاني

قوم نوح ﷺ

المبحث الأول: كفر قوم نوح ﷺ، وتكذيبهم.

المطلب الأول: كفر قوم نوح ﷺ.

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ...﴾[هود:27].

وقال تعالى:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[هود:42].

وقال تعالى:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ...﴾[المؤمنون:24].

وقال تعالى:﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[القمر:14].

وقال تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾[نوح:23].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾[نوح :26-27].

لقد نصت الآيات السابقة على كفر عموم قوم نوح ﷺ؛ ومما لا شك فيه أن الناس بعد آدم ﷺ كانوا مؤمنين بالله، موحدين له، ومرت أجيال منهم على الإيمان؛ ولكن الشيطان بعد هذه الأجيال المؤمنة تمكن من إغواء الناس، وإبعادهم عن الإيمان وقيادتهم إلى الكفر والشرك بالله، كما قال ابن عباس ﷺ :(كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[1].

وهذا دليل على أن الإسلام أول دين على وجه الأرض، ثم جاء الشرك طارئاً وشاذاً على البشرية بعد ذلك.

فلما جاء نوح ﷺ إلى قومه، وجدهم يعبدون الأصنام والأوثان، وقد ذكر القرآن أسماء خمسة أصنام لهم.

1- سبق تخريجه(ص:102).

قـال تعـالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح:22 -24].

وقد روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما -حديثاً في كيفية انحـراف قـوم نوح، وعبادتهم لتلك الأصنام.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -:(صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما (ود) فكانت لكلب، بدومة الجندل...)[1]الحديث.

وهذه الحقيقة.. حقيقة أن أول عقيدة عرفت في الأرض هي الإسلام القائم على توحيد الدينونة والربوبية والقوامة لله وحده.. تقودنا إلى رفض كل ما تخبط فيه من يسمونهم (علماء الأديان المقارنة) وغيرهم من التطوريين الذين يتحدثون عن التوحيد بوصفه طوراً متأخراً من أطوار العقيدة. سبقتها أطوار شتى من التعدد والتثنية للآلهة ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح، وتأليه الشموس والكواكب.. إلى آخر ما تخبطت فيه هذه(البحوث)التي تقوم ابتداءً على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة؛ يهدف إلى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحي الإلهي والرسالات من عند الله وإثبات أن الأديان من صنع البشر؛ وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشري على مدار الزمان!.

فالذي نجزم به.." أن هذه الجاهلية طارئة على البشرية في الأرض بوثنيتها وأساطيرها وخرافاتها وأصنامها وتصوراتها وتقاليدها جميعاً. وأنها انحرفت عن الإسلام إليها بفعل الشيطان المسلط على بني آدم؛ وبفعل الثغرات الطبيعية في النفس البشرية. تلك الثغرات التي ينفذ منها عدو الله وعدو الناس، كلما تراخوا عن الاستمساك بهدى الله، وإتباعه وحده، وعدم إتباع غيره معه في كبيرة ولا صغيرة" [2].

المطلب الثاني: تكذيب قوم نوح عليه السلام وعنادهم.

الفرع الأول: تكذيب قوم نوح عليه السلام .

لقد نص القرآن الكريم على تكذيب قوم نوح عليه السلام في كثير من آياته. من ذلك ما جاء في سورة القمر قولـه تعـالى:﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ

1- سبق تخريجه(ص:73).

2 - قطب. **في ظلال القرآن** (4/ 1882) .

وَٱزۡدُجِرَ ﴾[القمر:9]. وقد "أُسند التكذيب إلى جميع القوم لأن الذين صدقوه عدد قليل فإنه ما آمن به إلا قليل"[1].

فقوله -تعالى- ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ ﴾ "ذكر جُملاً من وقائع الأمم الماضية تأنيساً للنبي -ﷺ- وتعزية له. (قبلهم) أي قبل قومك" [2].

وقد عقب الزمخشري -رحمه الله- على هذه الآية بقوله:" فإن قلت ما معنى قوله:﴿ فَكَذَّبُوا ﴾ بعد قوله: ﴿ كَذَّبَت ﴾ ؟ قلت معناه كَذَبوا فكَذّبوا عبدنا:أي كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا:أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل"[3].

ولقد ذكر الآلوسي -رحمه الله- معنى قوله:﴿ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾ بعد قوله:﴿ كَذَّبَت ﴾ " إن هذا تفسير لذلك التكذيب المبهم، وفيه مزيد تحقيق، وتقرير للتكذيب أي فكذبوا عبدنا نوحاً وجوز أن يكون المعنى كذبوا تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبه قرن آخر مكذب مثله"[4].

وقد ذكر -رحمه الله- أن قوم نوح كانوا أول المكذبين فقال:" ﴿ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾ أي لما كانوا مكذبين للرسل جاحدين للنبوة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل، والفاء عليه سببية، وقيل: معنى ﴿ كَذَّبَت ﴾ قصدت التكذيب وابتدأته، ومعنى فكذبوا أتموه وبلغوا نهايته"[5].

سبب تكذيب قوم نوح ﷺ .

وقد كان سبب تكذيب قوم نوح ﷺ ما ذكره محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى ﴿... وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾[الأعراف:64]: " إنهم ما كذبوا إلا لعمىً في بصائرهم حال دون اعتبارهم وفهمهم لدلالة تلك الآيات على توحيد الله وقدرته على إرسال الرسل وحكمة ربوبيته في ذلك، وعمون جمع عم، وهو ذو

---

1 - ابن عاشور. **التحرير والتنوير**(174/27).

2 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (131/17).

3 - الزمخشري**. الكشاف** (37/4).

4 - الآلوسي. **روح المعاني** (81/27).

5 - المصدر السابق وانظر.الزحيلي. **التفسير المنير** (158/27).

العمى، وأصله عمي بوزن كتف. وقيل إنه خاص بعمى القلب والبصيرة، والأعمى يطلق على الفاقد لكل منهما"[1].

ولو تركوا العناد واللجاج، ونظروا في الدليل لظهر المقصود، وتبين أن الله قد آتى نوحاً ومن معه الفضل على الذين كفروا من قومه[2].

الفرع الثاني:عنادهم وإصرارهم على التكذيب.

لقد أصر قوم نوح عليه السلام على كفرهم وعنادهم، ورفضوا دعوته، وكلما زاد إقبالاً عليهم ودعوة لهم، وتلطفاً وتحبباً وتقرباً إليهم، زادوا كفراً وعناداً، وازدادوا تكذيباً له، وفراراً منه.

ولهذا قال نوح عليه السلام وهو يقدم لربه حسابه الأخير في نهاية الأمد الطويل:﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[نوح:7].

" أي كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة، وهو الإيمان بالله والطاعة له - فاللام في قوله :(لتغفر)لام التعليل -، سدوا آذانهم برؤوس أصابعهم، لئلا يسمعوا ما دعوهم إليه، وغطوا بثيابهم وجوههم لئلا يروني، ولئلا يسمعوا كلامي، واستمروا على الكفر والشرك ولازموه،وتكبروا عن قول الحق تكبراً شديداً، أي استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له"[3].

فهذه" صورة لإصرار الداعية على الدعوة وتحيّن كل فرصة ليبلغهم إياها؛ وإصرارهم على الضلال واستكبارهم عن الاستجابة لصورة الحق والهدى. برز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة. تبرز في وضع الأصابع في الآذان، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب.

والتعبير القرآني يرسم بكلماته صورة العناد الطفولي الكامل، وهو يقول :أنهم ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ وآذانهم لا تسع أصابعهم كاملة، وإنما هم يسدونها بأطراف الأصابع. ولكنهم يسدونها بعنف بالغ، كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضمانا لعدم تسرب الصوت إليهم بتاتاً! وهي صورة غليظة للإصرار والعناد"[4].

" وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز المرسل بعلاقة البعضية فإن الذي يجعل في الأذن الأنملة لا الأصبع كله فعبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد

---

1 - المنار.محمد رشيد رضا. **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**(12مج) دار المعرفة (بيروت) ط2 (494/8).

2 - انظر. الرازي. **التفسير الكبير**(213/17).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(300/18)، وانظر. الزحيلي.**التفسير الوسيط**(2743/3 -2744).

4 - قطب. **في ظلال القرآن**(3712/6).

المسامع بحيث لو أمكن لأدخل الأصابع كلها، ومثيل ذلك قوله تعـالى:﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [البقرة:19].

﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ ﴾ واستغشاء الثياب: جعلها غشـاء أي غطـاء علـى أعيـنهم، تعضيضاً لسد آذانهم بالأصابع لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إشارته وأكثر ما يطلق الغشـاء على غطاء العينين،قال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾[البقرة:7]. والسين والتاء فـي﴿ ٱسْتَغْشَوْا ﴾ للمبالغة.

فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل أصبعيه في أذنيـه ويجعل من ثوبه ساتراً لعينيه.

ويجوز أن يكون تمثيلاً لحالهم في الإعراض عن قبول كلامه ورؤية مقامه بحـال مـن يسكُّ سمعه بأنملتيه ويحجب عينيه بطرف ثوبه"[1].

" فاستغشاء الثياب إذن زيادة في سد الآذان حتى لا يسمعوا، أو لتنكيرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرفوه إعراضهم عنه"[2]." وهي صورة غليظة للإصرار والعناد، كما أنهـا صـورة بدائيـة لأطفال البشرية الكبار!" [3] .

" والإصرار: تحقيق العزم على فعل، وهو مشتق من الصرّ وهو الشـد علـى شـيء والعقد عليه، ومثيله عند قوله تعالى:﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ ﴾[آل عمران:135]. وحذف متعلق (أصرّوا) لظهوره، أي أصرّوا على ما هم عليه من الشرك.

﴿ وَٱسْتَكْبَرُوا ﴾ مبالغة في تكبروا، أي جعلوا أنفسهم أكبر من أن يأتمروا لواحد منهم

﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ...﴾[هـود:27]. وتأكيـد ﴿ ٱسْتَكْبَرُوا ﴾ بمفعولـه

1 - ابن عاشور. **التحرير والتنوير**(181/29 -182).

2 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(300/18).

3 - قطب.**في ظلال القرآن**(3712/6).

المطلق للدلالة على تمكن الاستكبار.وتنوين ﴿ ٱسۡتِكۡبَارًا ﴾ للتعظيم، أي استكباراً شديداً لا يفلّه حدُّ الدعوة"[1].

المطلب الثالث:جدال قوم نوح عليه السلام.

لقد أكثر نوح عليه السلام الجدال مع قومه، حتى قالوا ما أخبرنا الله عنهم:

﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدۡ جَـٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ... ﴾ [هود:32]." وهذا يدل على أنه عليه السلام قد أكثر الجدال معهم، وذلك الجدال ما كان إلا في إثبات التوحيد والنبوة واليوم الآخر"[2].

" والجدال في الدين محمود كجدال نوح والأنبياء أقوامهم حتى يظهر الحق فمن قبله أفلح ومن رده خاب وخسر. وأما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم وصاحبه في الدارين ملوم"[3]، وجدال قوم نوح يقوم على الباطل والافتراء والقول بلا علم ولا دليل ولا برهان، حتى إذا انقطعوا في الجدال ظهر باطلهم، وشدد نوح عليهم الخناق بالحجة والبرهان ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدۡ جَـٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [هود:32]. أي فأتنا بالعذاب الذي تعدنا به إن كنت صادقاً في قولك وفيما تدعيه من أنك رسول الله[4].

نماذج من الجدال بين نوح وقومه:

أ - قولهم عن نوح أنه في ضلال.

قال تعالى:﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف:60]. وقد أخبرتنا هذه الآية عن ظاهرة عجيبة وخطيرة، في الوقوف أمام نوح عليه السلام ومحاربته، وهي ظاهرة ﴿ ٱلۡمَلأ ﴾ ولتسميتهم باسم ﴿ ٱلۡمَلأ ﴾ مَلحَظٌ ذو دلالة.

---

1 - ابن عاشور.**التحرير والتنوير**(182/29).

2 - الرازي. **التفسير الكبير** (218/17)

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (28/9).

4 - انظر. القرطبي.**الجامع لأحكام القرآن**(28/9).

قال الإمام الراغب في معنى ﴿ ٱلۡمَلَأُ ﴾:" الملأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواء ومنظراً، والنفوس بهاء وجلالا، ...يقال: فلان ملء العيون.أي:معظّم عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته..."[1].

" فقوم نوح الكفار كان لهم ملأ - وكل كفار لهم ملأ، يقودونهم في مواجهة الحق -. وهؤلاء(الملأ) كانوا يجتمعون على كفرهم، ويلتقون في جلساتهم على التآمر ضد نوح عليه السلام ورسالته، ويتفقون على أساليب حربه ومواجهته، ويضعون خطة إعلامية، ينفذونها في أتباعهم وجنودهم وأعوانهم.

وسمي هؤلاء (ملأً) لأنهم كانوا يملؤون عيون جماهيرهم وأتباعهم مهابة وخوفاً ويملؤون نفوس جنودهم رهبة وإجلالاً، أي: كانوا ملء عيون ونفوس وقلوب وعقول أتباعهم وجنودهم. ولهذا كانوا يخافون منهم، ويرهبونهم، ومن ثم كانوا يتبعونهم وينفذون ما يطلبونه منهم، ويجندون لهم أعواناً في رفض الحق، ومواجهة نوح عليه السلام.

هذه هي الآثار الخطيرة لظاهرة (الملأ) التي نلحظها في قصص الأنبياء في القرآن الكريم، والتي كانت تمثل القيادة الشيطانية لحزب الشيطان، في مواجهة الحق وجنوده.

وتخبرنا آيات القرآن في قصة نوح عليه السلام، أن هؤلاء (الملأ) هم الذين قادوا قومهم في مواجهته، وهم الذين أثاروا الشبهات ضده، وضد دعوته وأتباعه وقدموا طلباتهم له، ووجهوا تهديداتهم إليه. وقد واجه نوحعليه السلام هؤلاء (الملأ) وفند شبهاتهم، ولم يستجب لطلباتهم، ولم يرضخ لتهديداتهم، وإنما تحداهم، وحاربهم، واستعلى عليهم بإيمانه، متوكلاً على الله ربه"[2].

وهؤلاء (الملأ)هم الذين قالوا لنوح عليه السلام:﴿...إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأعراف:60] أي إنا لنراك "يا نوح في خطأ وزوال عن الحق بيّن"[3].

فقال نوحعليه السلام في جوابه لهم:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:61-62].هكذا أجابهم نوح عليه السلام بجواب لطيف رقيق قوي الحجة فنفى أن تكون به ضلالة؛ لأنه رسول من رب العالمين،" والشأن في الرسول من رب العالمين أن يكون على

---

1 - الأصفهاني. **مفردات ألفاظ القرآن** (ص:776)، وانظر. الزجاج.**معاني القرآن وإعرابه**(346/2)، وحجازي. محمد محمود. **التفسير الواضح**(3مج)دار الجيل(القاهرة)ط6: 1389هـ -1969م.(67/1).

2 - الخالدي. **القصص القرآني**(170/1 -171).

3 - الخازن. **لباب التأويل**(101/2).

الهدى والحق المبين، وليس على الضلا ، وأنه جاء ليبلغهم رسالات ربه، وينصح لهم، وهذا هو شأن رسول الله: يكون مبلغاً عن ربه، صادقاً في تبليغه، ناصحاً لمن يبلغهم، عالماً بالله"[1].

ثم قال نوح في جوابـــه لهـــم: :﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:63]."أي لا تعجبوا من هذا، فـــإن هذا ليس بعجيب أن يوحي الله تعالى إلى رجل منكم رحمة بكم، ولطفاً وإحساناً إليكم؛ لينـــذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به"[2].

ب - إثارة الشبهات لنفي نبوة نوح ﷺ وتكذيب رسالته:

قال تعالى عن قوم نوح وما أثاروه من الشبهات في جدالهم مع نوح ﷺ لنفي النبوة عنه وتكذيبه في رســـالته: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[هود:27].

وقـــال تعـــالى:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون:24-25] .وقال تعـــالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء:114-111] .

هذه الآيات التي ذكرناها تثبت أن قوم نوح أثاروا في جدالهم معه جملة من الشبهات تبريراً لرفضهم دعوة نوح ﷺ وهذه الشبهات هي:

---

1 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(223/2) بتصرف.

2 - المصدر السابق، وانظر.المنار. **تفسير القرآن الحكيم** (493/8).

الشبهة الأولى: كونه من البشر .

قال تعالى:﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ...﴾ [هود:27] " أي أنت بشر مثلنا في الجنس لا مزية لك علينا تكون بها نذيراً لنا، نطيعك ونتبعك مذعنين لنبوتك و رسالتك. فالمساواة في البشرية بينهم وبينه تنافي في زعمهم دعوى تفوق أحد المتساوين على الأخر لجعل أحدهما تابعاً طائعاً، والآخر متبوعا مطاعا"[1]. ثم إن نوحاً ليس بمَلَك، ولكنه بشر فكيف يصح ويجوز -في زعمهم- أن يوحى إليه من دونهم![2].

الرد على هذه الشبهة :

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: 28]. ومعنى هذه الآية: " أرأيتم إن كنتُ على يقين وأمر جلي وحجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ وهي النبوة ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي فحجبها عنكم لجهلكم وغروركم بمالكم وجاهكم، فلم تستبينوا بها على ما تدل عليه من التفرقة بيني وبينكم، وإذ جعلتموني بشراً مثلكم"[3]؛ لأن " حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة "[4]، وما تستلزمه هذه الصفة -صفة النبوة و الرسالة من وجوب متابعتكم وطاعتكم لي، لأني بهذه الصفة أبلغكم ما يوحيه إليَّ ربي . فإذا أنتم جهلتم ما آتاني ربي من رحمة من عنده وهي النبوة، وعميت عليكم فهل نلزمكم إياها بالجبر والإكراه ؟ أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفتها إن شئتم أم أبيتم والحال أنكم كارهون لها إنكاراً و جحوداً و استكباراً ؟ أي لا أقدر على ذلك و لا أحاول فعله بالإكراه ؛ لأن الإيمان يكون عن رضا واختيار لا عن جبر أو إكراه [5].

---

1 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(12/61-62).

2 - انظر. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(2/442).

3 - المصدر السابق(2/443).

4 - المنار.**تفسير القرآن الحكيم**(12/63-64).

5 - انظر.الرازي.**التفسير الكبير** (17/213).

الشبهة الثانية: النبي يكون مَلَكاً.

قال قوم نوح في تبرير رفضهم دعوة نوح:﴿ ...وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون:24] . قولهم﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ " أي لو شاء الله -بزعمهم- إرشاد البشر عن طريق إرسال أنبياء؛ لبعث لهذا الغرض ملائكة، فهم اقدر من البشر على تحقيق هذا الغرض؛ لعلو شأنهم وشدة سطوتهم، فالخلق ينقادون إليهم ولا يشكون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا البتة، وقالوا: ﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي ما سمعنا بمثل هذا الذي يدعي، وهو بشر، أنه رسول الله"[1].

الرد على هذه الشبهة:

أن نوحاً عليه السلام أرسله الله ليبلغ رسالته إلى قومه، قال تعالى حكاية عما قاله نوح: ﴿... وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي...﴾ [الأعراف:60] ولا قيد ولا تقييد على إرادة الله فيمن يرسله رسولاً، فإن شاء أرسل رسولاً من البشر، ولا تعقيب على مشيئته. وقال تعالى حكاية عما قاله نوح لقومه :﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأعراف:63] " أي لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس بعجيب أن يوحي الله إلى رجل منكم رحمة بكم و لطفاً وإحساناً إليكم؛ لينذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به"[2]. ووجه الرحمة بإرسال رجل من قوم نوح إليهم، أي بإرسال رسول إليهم من البشر وليس من الملائكة أنَّ البشر لا يطيقون رؤية الملائكة في صورتهم الأصلية، لأن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة في حالتهم التي خلقوا عليها، ولهذا لو أرسل الله تعالى رسولاً من الملائكة لجعله رجلاً أي في صورة رجل حتى يمكن للبشر أن يروه ويسمعوا منه، عند ذلك يعتقدون أنه بشر وليس ملكاً فلا يتحقق ما يريدونه من أن يكون الرسول ملكاً قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾[الأنعام:9] أي لو جعل الله تعالى الرسول المبعوث إلى البشر ملكاً لجعل الله تعالى هذا الملك متمثلاً في صورة بشر لتمكينه من رؤيته وسماع كلامه الذي يبلغه عن الله

---

1 - المصدر السابق(92/23).

2 - ابن كثير.**تفسير القرآن العظيم** (224/2) .

تعالى، ولو جعله الله تعالى ملكاً في صورة بشر لاعتقدوا أنه بشر؛ لأنهم لا يــدركون منــه إلا صورته وصفاته البشرية التي تمثل بها، وحينئذ يقعون في اللبس نفسه والاشتباه الذي يلبســونه على أنفسهم باستنكار جعـ الرسول بشراً ولا ينفكون يقترحون جعل الرسول ملكاً ولا يمكن أن يأتيهم إلا في صورة بشر، فلا يعتقدون أنه ملك، وهكذا يبقى الاشتباه عليهم، وكانوا في غنى عن ذلك لو آمنوا أن إرسال الرسول من البشر هو من رحمة الله بهم و إحساناً إليهم حتى يمكنهم أن يسمعوا منه ويفهموه، وبهذا يحصل مقصود النبوة والرسالة[1].

الشبهة الثالثة: أتباع نوح هم الأرذلون.

قــال تعــالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ... ﴾ [هود:27].

الملأ هم السادة والكبراء والرؤوساء والأشراف من الكافرين من قوم نوح عليه السلام ، فهؤلاء قالوا لنــوح عليه السلام رداً لدعوتــه:﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ أي أرادؤنا وأخساؤنا، ومن هم دون طبقة الأشراف والأكابر، والذين لا حسب لهم ولا مال ولا جاه، أي الفقراء والضعفاء و الخسيســو الصــناعات، و لــم يتبعــك الأشراف والرؤساء منا، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن اتباعهم لك عن ترو منهم، ولا فكر ولا نظر،بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ...﴾ أي اتبعوك حين ابتدءوا ينظرون وما احتاطوا في ذلك الــرأي، وما أعطوه حقه من الفكر الصائب والتدبر الوافي، ولو أنهم أمعنوا النظر والفكر لم يتبعــوك[2]. وقال تعالى في سورة الشعراء عن الملأ من قوم نوح و مــا قــالوه لــه :﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء:111] " أي أنصدق قولك وقد اتبعك الأرذلون أي أنــؤمن لــك نحن وأتباعك الأرذلون فنعدَّ منهم "[3] وهكذا قال غيرهم ومن بعدهم مثلاً للرسول ﷺ...الخ.

---

1 - انظر.المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(315/7).

2 - انظر. الرازي. **التفسير الكبير**(212/17-213) والقرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (23/9)، وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(442/2) والمنار. **تفسير القرآن الحكيم** (61/12)، وجاد المولى. محمد أحمد. **قصص القرآن**(جزء واحد) دار النصر(دمشق - بيروت) ط1: 1404هـ -1984م.(ص:16).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (119/13-120).

الرد على هذه الشبهة:

قال نوح ﷺ في رد هذه الشبهة كما حكـــاه الله عنـــه:﴿ وَيَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالاًۖ إِنۡ أَجۡرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۟ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمۡ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود:29-31].

والمعنى أن نوحاً ﷺ قال لقومه: أنا لا أطلب مالاً منكم على تبليغكم رسالة ربي حتـــى يتفاوت الحال عندي بسبب كون المستجيب للدعوة فقيراً أو غنياً، وإذا كان الأمر كذلك فســـواء أكانوا فقراء أم أغنياء، فأنا ادعوهم، و من يستجيب فهو من أتباعي و جلسائي فقيـــراً كـــان أو غنياً. وكأن القوم سألوا نوحاً ﷺ أن يطرد الذين أمنوا عن مجلسه فقال لهـــم:﴿ وَمَآ أَنَا۟ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمۡ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴾ أي ليس من شأني ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا من قربي وجواري، لاحتقاركم لهم ووصفكم إيـــاهم بـــالأراذل جهلاً منكم بقدرهم ومنزلتهم عند الله الذي سيلاقونه، فيكون نوحاً ﷺ قد قال هذا علـــى وجـــه الإعظام لهم بلقاء الله ﷻ وبمنزلتهم العالية عنده تعالى، ويمكن أن يكون نوح ﷺ قد قال هـــذا على وجه الاختصام، أي لو فعلت ذلك وطردتهم من قربي ومن مجلسي لخاصـــموني عنـــد الله تعالى، فيجازيهم على إيمانهم بأحسن الجزاء، ويجازي من طردهم بما يستحقه من العقاب.

ثم أكد نوح ﷺ عزمه على عدم طرد الذين آمنوا فقـــال:﴿ وَيَـٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾"أي من ينصرني من عذاب الله إن طردتهم بعد أن آمنوا بي واتبعوني فيما أبلغهم عن الله، أفلا تتذكرون؟ أي أتصرون على جهلكم وطلبكم في طـــردهم ولا تتذكرون أن لهم رباً ينصرهم وينتقم لهم"[1].

---

1 - المنار. **تفسير القرآن العظيم**(66/12) بتصرف.

ثم أكد نوح عليه السلام هذا البيان بوجه آخر فقال:﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي "ولم أقل لكم إن خزائن رزق الله - تعالى - وماله عندي حتى أنكم تنازعون في ذلك وتنكرونه"[1]، ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ أي"ولا أقول أنا اعلم الغيب حتى تكذبوني"[2] ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ "أي لا أقول إن منزلتي عند الناس منزلة الملائكة "[3].

ثم أكد نوح عليه السلام عزمه على عدم طرد الذين آمنوا بقوله:﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾، وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون أتباع نوح مع الفقر والذلة إلى النفاق، فقال: إني لا أقول ذلك لأنه من باب الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، وعلى هذا فأنا "لا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم إنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم، والله تعالى أعلم بما في نفوسهم، فإن كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسنى، ولو قطع لهم احد بشرّ بعد ما آمنوا لكان ظالما قائلاً مالا علم له به"[4].

الشبهة الرابعة: لا فضل لنوح ولا للمؤمنين .

و قال تعالى - حكاية عن قول قوم نوح لنوح وأتباعه ﴿...وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود:27] " أي وما نرى لك ولمن اتبعك علينا أدنى فضل تمتازون به كالقوة والكثرة والعلم والرأي يحملنا على إتباعكم، والنزول عن جاهنا وامتيازنا عليكم بالجاه والمال"[5]. و قولهم:﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ " أي:كاذبين في جملتكم:نوح في دعواه النبوة، وأتباعه في تصديقه"[6].

---

1 - الآلوسي. **روح المعاني**.(42/12) بتصرف.

2 - المنار. **تفسير القرآن العظيم** (43/12).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (27/9).

4 - ابن كثير.**تفسير القرآن العظيم** (444/2).

5 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(61/12) .

6 - المصدر السابق.

الرد على هذه الشبهة:

وشبهتهم هذه تدل على جهلهم لأن الفضيلة المعتبرة عند الله هي بالعلم والعمل، فكيف اطلعوا على قلوب الخلق وعرفوا ما فيها حتى نفوا هذه الفضيلة؟ إن سبب جهلهم ما لنوح وأتباعه من فضل هو عنادهم واستكبارهم وأهواؤهم، ولو تجردوا من ذلك لعلموا كم أتاهم من فضله: فقد أعطى الله لنوح النبوة، ووفق أتباعه إلى تصديقه والإيمان بما جاء به من ربه. وقولهم:﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ فهذه تهمة أخرى يقذفون بها في وجه الرسول الكريم وأتباعه. ولكنهم على طريقتهم الطبقية يلقونها في أسلوب التحفظ اللائق بطبقتهم﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ ﴾ لأن اليقين الجازم في القول والاتجاه من طبيعة الجماهير المندفعة التي لا تتروى ولا تفكر في إتباع الدعوات، وهذا ما يترفع عنه السادة المفكرون المتحفظون.

إنه النموذج المتكرر من عهد نوح عليه السلام، لهذه الطبقة المليئة الجيوب الفارغة القلوب، المتعاظمة المنتفخة.

الشبهة الخامسة: أنه بدعوته يريد أن يتفضل عليهم:

قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[المؤمنون:23-25].

وقولهم: ﴿ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي يريد أن يرتفع عليكم على سبيل التجبر والتكبر، "ويسودكم ويشرف عليكم بأن يكون متبوعاً ونحن له تبع"[1] "بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم، فكيف أوحي إليه من دونكم "[2]. ما سمعنا بهذا أي ما سمعنا بمثل دعوته في آبائنا الأولين،" أي في الأمم السابقة، فهو رجل به جنة أي جنون يجعله لا يدري ما يقول"[3]. "فهو مجنون فيما

---

1 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(118/12).

2 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(244/3-245).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(119/12).

يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بـــالوحي ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي انتظروا موته واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه"[1].

رد هذه الشبهة:

يريد التكبر عليهم بدعوى النبوة، زعم باطل وإنما يريد هدايتهم، و تبليغ ﷺ زعمهم أن نوحاً رسالة ربه إليهم، وهذا في مصلحتهم، وإرادة الخير لهم، فيجب الانقياد إليه. والحقيقة أن سبب زعمهم هذا هو أنهم ينكرون نبوة نوح، وبإنكارهم نبوته يحملون دعوته على إرادة السيادة و التكبر عليهم. وقولهم: إنه به جِنَّةٌ، قد يكون اتهامهم له بالجنون لأنه يخبرهم بأمور لا عهد لهم بها من أمور الغيب، فيردون ذلك إلى أنه اختلاط في عقله. أو أنه كان يخبرهم بأمور مستقبلية فتقع، وعرفوا صدقها، فعزوا ذلك إلى أنه إخبار من الجن وليس من الوحي. أو لغرابة سلوكه وسيرته مع ربه ومع الناس اتهموه بالجنون، وقد يكون لهذه الأمور جميعها. وهذا قولٌ باطلٌ وكذب، لأنهم كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله، ولأن الله تعالى لا يرسل مجنوناً.

انقطاع حجة قوم نوح:

و لما لم يبق لقوم نوح ما يتحججون به من حجج باطلة في مواجهة نوح ﷺ، انقلبــوا إلى التهديد، وإخافة نوح بالأذى، أو حتى بالقتل إذا استمر في دعوته، وذم ما هم عليه من كفــر وشرك، قال تعالى في بيان الحالة التي وصل إليها أولئك الكفرة من قوم نوح: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء:116] أي لئن لم تنته يا نوح عن ســب آلهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين بالحجارة، وقال ابن عباس: من المقتــولين[2]. وفــي تفسير ابن كثير لهذه الآية " أي لئن لم تنته من دعوتك إيانا إلى ذلك لتكونن من المرجــومين أي لنرجمنك "[3].

وهذا ديدن من يفقد الحجة والدليل القاطع والبرهان الساطع فيلجأ إلى التهديد والوعيد.

1 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(245/3).

2 - انظر. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(121/13)، وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(342/3).

3 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(341/3) .

المبحث الثاني: مصير قوم نوح عليه السلام.

تمهيد: سبب إهلاك الأمم .

إن سنة الله في هلاك الأمم الظالمة سنة مطردة، والواقع أن القرآن الكريم يبين لنا في أكثر من آية أن (الظلم) سبب مؤكد لهلاك الأمم، وأن هذا الهلاك هو من مقتضيات ولوازم سنة الله في الظلم والظالمين. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ...﴾[يونس:13]' أي أهلكناهم لما كفروا وأشركوا "[1].

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الله أهلك قوم نوح بالغرق بسبب ظلمهم وقال تعالى- بعد هلاكهم:﴿ ...وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:44]. " أي هلاكاً وسحقاً لهم وبعداً من رحمة الله -تعالى- بما كان من رسوخهم في الظلم و استمرارهم عليه "[2]. وقال تعالى- مبيناً هلاك قوم نوح بالغرق وأنه بسبب ظلمهم:﴿...فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:14].

ومما لاشك فيه أن هلاك الأمم الظالمة له أجل محدود، بمعنى أن بقاء الأمة الظالمة بقاء محدود المدة إذا انقضت هذه المدة جاء أجلها فتهلك كما يهلك الإنسان ويموت إذا حان أجله بمضي مدة عمره. وتوضيح ذلك أن الظلم في الأمة كالمرض في الإنسان يعجل في مدته بعد أن يقضي المدة المقدرة له وهو مريض. وبانتهاء هذه المدة يحين أجل موته، فكذلك الظلم في الأمة يعجل في هلاكها بما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها واضمحلالها خلال مدة معينة يعلمها الله -سبحانه وتعالى-.

قال تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[الأعراف:34]. قال الآلوسي في تفسير هذه الآية:" أي لكل أمة من الأمم الهالكة أجل أي وقت معين مضروب لاستئصالهم "[3]. وهذا ما رأيناه في هلاك قوم نوح حيث جعل بدء وقت هلاكهم فوران الماء في التنور، قال- تعالى-:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ... ﴾[هود:40]

---

1 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (317/8).

2 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم** (80/12).

3 - الآلوسي. **روح المعاني** (112/8).

المطلب الأول: صنع السفينة وبدء الطوفان.

الفرع الأول: صنع السفينة.

لقد كان في استعجال قوم نوح نزول العذاب، ومللهم من كثرة جدال نوح، دلالة واضحة على أنهم لا يزالون مستمرين على تكذيب نوح، واتهامه بكذب ما يعدهم من العذاب، وأنهم لم يتزحزحوا عن كفرهم وضلالهم مما أدخل الأسى إلى قلب نوح "وبعد أن أيأسه الله من إيمانهم"[1]. وقد تأكد هذا اليأس من إيمان قومه بما أخبره الله به بقوله تعالى:﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[هود:36]، أي لا تحزن ولا تغتم بما كانوا يفعلونه من تكذيبك، وإيذائك وإيذاء من آمن بك، فأرح نفسك بعد الآن من جدالهم وإعراضهم عن دعوتك، فقد حان زمن الانتقام منهم[2]. فلما أخبره الله بذلك دعا نوح عليهم بما أخبرنا الله به ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح:26]، قال الإمام القرطبي قي هذه الآية: " دعا عليهم حين يئس من إتباعهم إياه ونقل قتادة والضحاك أنه: دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه ﴿ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾"[3] وذكره الرازي في تفسيره عن ابن عباس[4].

وقد أخبر الله تعالى نبيَّه نوحاً عليه السلام أن إهلاكهم سيكون بالغرق وأمره بصنع السفينة؛ ليركبها هو والمؤمنون للنجاة بها من الغرق، قال تعالى مخاطباً نبيه نوحاً﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:37]، و﴿ ٱلْفُلْك ﴾ هو السفينة ويطلق على الواحد والجمع. فمن إطلاقه على السفينة قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ

---

1 - الأندلسي.أبو حيان محمد بن يوسف(ت:754هـ) **البحر المحيط في التفسير** (11مج) دار الفكر(بيروت) (بلا) ط:1412هـ -1992م.(148/6).

2 - انظر. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(30/9) والرازي. **التفسير الكبير**(221/17) والمنار. **تفسير القرآن الحكيم**(73/12) .

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(312/18).

4 - انظر. الرازي. **التفسير الكبير**(220/17-221).

ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾. ومن إطلاقه على الجمع قولــه تعــالى:﴿ ... وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ...﴾ [النحل:14].

وصار الملأ من قومه يمرون عليه، ويســخرون منــه، ويتهكمــون عليــه ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ ...﴾ [هود:38].

وكان نوح عليه السلام يجيبهم:﴿ ...إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴾ [هود:38 -39].

وصنع نوح السفينة كما أمره الله -تعالى- وكل ما يتعلق بالسفينة مــبهم فــي الكتــاب والسنة، لم تبينه ولم تفصله الآيات والأحاديث الصحيحة. وكل ما ورد عن الســفينة هــو مــن الإسرائيليات، إذ لا ينفعنا معرفتها ولا يضرنا عدم العلم بها. جاء في البحر المحيط:" واختلفــوا في هيئتها من التربيع والطول، وفي مقدار مدة عملها، وفي المقدار الذي عملت فيــه، ومقــدار طولها وعرضها على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء"[1] .

وقال الفخر الرازي:" واعلم أن هذه المباحث لا تعجبني، لأنها أمــور لا حاجــة إلــى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً " [2].

وإننا لا نجد وصفاً لسفينة نوح عليه السلام إلا ما أشار القرآن إليها بأنها ﴿... ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [يس:41] " والمشحون أي: المملوء الموقَر"[3]، وبأن صناعتها بــوحي مــن الله وإلهام:﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾[هود:37] وبأنها ذات ألواح خشبية، وذات مسامير تثبت هذه الألواح بعضــها بــبعض، قــال - تعــالى -:﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾[القمر:13] [4].

1 - الأندلسي. **البحر المحيط**(150/6).

2 - الرازي. **التفسير الكبير** (224/17).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(34/15).

4 - انظر. الزحيلي. **التفسير المنير**(253/8).

والدُسر هي المسامير. قال الإمام الراغب في المفردات:" أي: مسامير، الواحد دِسار. وأصل الدَّسرِ:الدفع الشديد بقهر، يقال:دَسَرَهُ بالرمح"[1].

وأنها كذلك آية وعبرة للعالمين قال تعالى -: ﴿...وَجَعَلۡنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت:15] وقال تعالى في سورة القمر: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:15] وقوله: ﴿... وَجَعَلۡنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾" الضمير للسفينة. ومعنى كونها آية أنها دليل على وقوع الطوفان عذاباً من الله للمكذبين الرسل، فكانت السفينة آية ماثلة في عصور جميع الأمم الذين جاءتهم الرسل بعد نوح موعظة للمكذبين وحجة للمؤمنين"[2].

وقد أبقى الله بقية السفينة إلى صدر الأمة الإسلامية فقد روى الإمام البخاري في صحيحه فقال:(قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أوائل هذه الأمة) [3].

"ويجوز أن يكون ضمير النصب في ﴿ وَجَعَلۡنَـٰهَا ﴾ عائداً إلى الخبر المذكور بتأويل القصة أو الحادثة"[4].

ويرى ابن كثير أن قول قتادة لا يعني أن الله أبقى خشب سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودي هذه الفترة الطويلة من الزمن، حتى رآه أوائل الصحابة الذين وصلوا إلى ذلك المكان.قال ابن كثير -رحمه الله -:"والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [يس:42]، وقال تعالى:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَـٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴾ [الحاقّة:12] ولهذا قال هاهنا ﴿... فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:15]أي فهل من يتذكر ويتّعض ؟"[5]. وهذا قول حسن وتأويل جيد ومقبول من ابن كثير - رحمه الله -.

والراجح أن الضمير عائد إلى السفينة. وأن أوائل الصحابة قد أدركوها وشاهدوها وذلك لأن الترك في قوله:﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ كناية عن الإبقاء وعدم الإزالة،

---

1 - الأصفهاني.**المفردات في غريب القرآن**(ص:314).

2 - ابن عاشور. **التحرير والتنوير**(147/20).

3 - رواه البخاري.**الجامع الصحيح**. كتاب تفسير القرآن. باب (تجري بأعيننا جزاءاً لمن كان كفر) برقم(4868)(62/3).

4 - ابن عاشور. **التحرير والتنوير**(147/20).

5 - الصابوني. محمد علي .**مختصر تفسير ابن كثير**(3مج)دار التراث العربي للطباعة والنشر(القاهرة)(بلا)ط: 1407هـ -1987م (410/3).

قال تعالى:﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [الذاريات:37] ولأن الحديث كذلك ينصّ صراحة على أن المقصود هي السفينة وليس الحادثة أو القصة.

وبعد أن أدى نوح عليه السلام كل ما عليه، وبعدما استنفد طاقته ووسعه، وبعد أن مكث يدعوهم حوالي ألف سنة، ثم كانت النتيجة ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود:40]. عندها لجأ نوح إلى ربه واستنصره عليهم.

وقد سجل القرآن الكريم هذا اللجوء والإستنصار من نوح عليه السلام لربه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾ [نوح:26-27].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء:117-118].

وقال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون:26].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الصافات:75-76].

وقال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾[القمر:10].

لقد أدى نوح عليه السلام ما عليه والقوم قد غلبوه، ومع ذلك لم يتخلَّ عن الحق، ولم يتوقف عن الدعوة.

(فانتصر): أي انتصر يا رب لرسولك الذي كذبوه، وانتصر لدينك الذي حاربوه، وانتصر لأوليائك الذين اضطهدوهم، وانتصر للحق الذي أنكروه[1].

وهذا دعاء المؤمنين الصادقين، والدعاة المخلصين على مر العصور والأزمان: اللهم انتصر لنا يا ربنا من أمثال هؤلاء، وأنصفنا منهم ، وانصرنا عليهم، واجعلهم مهزومين مغلوبين.

---

1 - انظر. ابن عاشور. **التحرير والتنوير**(175/27).

الفرع الثاني: بدء الطوفان.

قال تعـــالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[هود:40-41].

وقال تعـــالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾[القمر:10-12].

فقد كانت علامة بدء الطوفان فوران الماء من التنور. والتنور:"الفرن الذي يخبز فيـــه، وسمي (تنّوراً)لأن النار تكون موقدةً مشتعلةً فيه"[1].

وذكر القرطبي انه اختلف في معنى التنور على سبعة أقوال:

" الأول: أنه وجه الأرض، العرب تسمي وجه الأرض تنوراً. الثاني: أنه تنور الخبز الذي يخبز فيه . الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة. الرابع: انه طلوع الفجر، ونـــور الصـــبح . الخامس: أنه مسجد الكوفة. السادس: أنه أعالي الأرض، والمواضع المرتفعة منها. السابع: أنـــه العين التي بالجزيرة(عين الوردة)" [2].

وقد رجح الفخر الرازي القول الثاني من هذه الأقوال فقال:" فإن قيل: فما الأصـــح مـــن هذه الأقوال؟ قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبـــز فيه فوجب حمل اللفظ عليه ولا امتناع في العقل في أن يقال: إن الماء نبع أولا مـــن موضـــع معين وكان ذلك الموضع تنوراً.

فإن قيل: ذكر التنور بالألف واللام وهذا إنما يكون معهود سابق معـــين معلـــوم عنـــد السامع وليس في الأرض تنورٌ هذا شأنه، فوجب أن يحمل ذلك على أن المراد إذا رأيت المـــاء يشتد نبوعه والأمر يقوى فانج بنفسك وبمن معك.

قلنا: لا يبعد أن يقال:إن ذلك التنور كان لنوح عليه السلام بأن كان تنور آدم أو حواء أو كـــان تنورا عينه الله تعالى لنوح عليه السلام وعرفه أنك إذا رأيت الماء يفور فاعلم أن الأمر قد وقع، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى صرف الكلام عن ظاهره. وبهذا قال جماعة عظيمة مـــن المفســـرين كابن عباس و الحسن ومجاهد." [3].

---

1 - ابن منظور. **لسان العرب**(95/4).

2 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (33/9-34).

3 - الرازي. **التفسير الكبير** (225/17-226).

وهذا القول في معنى التنور هو القول الراجح - والله أعلم - وقد رجح هذا المعنى شيخ المفسرين ابن جرير الطبري - رحمه الله -، فبعد أن ذكر الإمام الطبري أقوال السلف في المراد بالتنور قال:" وأولى هذه الأقوال عندنا قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله يُحمل على الأغلب الأشهر"[1].

" ولله حكمة بالغة في جعل علامة الطوفان فوران الماء من التنور لأن المعروف عند الناس أن الماء يطفئ النار، فعندما تشتعل النار في شيء يقومون بسكب الماء عليها بإطفائها. فكيف يفور هذا الماء من وسط التنور الموقد بالنار؟ وكيف يلتقي الماء مع النار وسط التنور؟.

هكذا بدأ الطوفان، فوجه الأرض كله عيون متفجرة بالماء الغزير، والسماء كلها أبواب يهطل منها الماء المنهمر، فالتقى على قوم نوح الكافرين ماء السماء وماء الأرض، وارتفع الماء عليهم،وصار يعلو ويعلو،حتى أصبح أمواجاً كالجبال"[2].

وهنا يوجه نوح القلة المؤمنة بأن ﴿ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[هود:41]."وهذا تعبير عن تسليمها للمشيئة في جريانها ورسوها، فهي في رعاية الله وحماه. وماذا يملك البشر من أمر الفلك في اللجة الطاغية بله الطوفان؟!"[3].

المطلب الثاني: حدوث الطوفان.

بعدما فار الماء من وسط التنور، امتد هذا الفوران ليشمل باقي المناطق على وجه الأرض، وفجر الله وجه الأرض عيوناً فوارةً بالماء الغزير،وتحول وجه الأرض إلى عيون تفور بالماء، والتقى الماء المتفجر بعضه مع بعض، وامتلأ وجه الأرض بالماء!.

ثم أمر الله سبحانه السماء أن ترسل الماء إلى الأرض، وكأن السماء تحولت إلى أبواب مشرعة ينهمر منها الماء إلى الأرض ليلتقي مع ذلك الماء المتفجر من عيون الأرض!.

وكان الله -سبحانه- قد أمر نوحاً عليه السلام قبل ذلك أن يجهز حمولة السفينة ويهيئ ركابها، فإذا ما جاء أمر الله وفار التنور دخلوا السفينة فوراً.

"وقد أمر الله نوحاً بأن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الأشياء: (الأول) قوله: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ والمقصود بالزوجين كل شيئين يكون أحدهما ذكراً

1 - الطبري. **جامع البيان**(40/12).

2 - الخالدي.**القصص القرآني** (191/1 -192).

3 - قطب.**في ظلال القرآن** (1878/4).

والآخر أنثى، و التقدير: كل شيئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين: واحد ذكر والآخر أنثى. (الثاني):﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ المراد ابنه وامرأة نوح فقد كانا كافرين حكم الله عليهما بالهلاك. و(النوع الثالث) من تلك الأشياء قوله :﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾" [1]، فلما حمل نوح في السفينة من أمره الله بحملهم فيها، قال كما أخبرنا الله:﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ...﴾ [هود:41 -42].

المطلب الثالث: انتهاء الطوفان واستواء السفينة.

لقد أغرق الله قوم نوح بالطوفان، وذلك بسبب كفرهم ومعاصيهم، ولم ينصرهم أحد من دون الله. قال تعالى:﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[نوح:25]. وقال تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[الشعراء:119 -120]. وقال تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[يونس:73].

"وتهدأ العاصفة، ويخيم السكون، ويقضى الأمر، ويتمشى الاستقرار كذلك في الألفاظ في إيقاعها في النفس والأذن:﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود:44]. ويوجه الخطاب إلى الأرض والسماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل فتبلع الأرض، وتكف السماء.﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾.﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ أي ابتلعته الأرض في جوفها وغار من سطحها.﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي ونفد القضاء.﴿ وَٱسْتَوَتْ

1 - الرازي.**التفسير الكبير**(17/226 -228).

عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾ أي ورست رسو استقرار على جبل الجودي، ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهي جملة مختصرة حاسمة معبرة عن جوها أعمق تعبير.﴿ قِيلَ ﴾ على صيغة المجهول فلا يذكر من قال، من قبيل لف موضوعهم ومواراته.

﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي بعداً لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعداً لهم من رحمة الله فقد لعنوا، وبعداً لهم من الذاكرة فقد انتهوا، وما عادوا يستحقون ذكراً ولا ذكرى !"[1].

نوح ينادي ابنه للركوب في السفينة:

قال تعالى:﴿...وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ [هود:42-43] "أي ونادى نوح ابنه وكان في معزل عن السفينة، ولم يكن يعلم نوح أن ابنه كان كافراً، وظن أنه مؤمن ولذلك قال له ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. قال: سآوي إلى جبل يمنعني من الماء فلا أغرق. قال نوح: لا مانع اليوم من الغرق، لكن من رحمه الله فهو يعصمه من الغرق. وحال بينهما الموج يعني بين نوح وابنه فكان من المغرقين"[2].

نداء نوح ربه بشأن ابنه:

والآن وقد هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت على الجودي. الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [هود:45-47].

---

1 - قطب. **في ظلال القرآن**(1879/4).

2 - القرطبي.**الجامع لأحكام القرآن**(38/9-40).

ذهب الإمام ابن كثير في تفسيره إلى أن هذا النداء من نوح لربه هو سؤال عـن حـال ولده الذي غرق مع أنه من أهله، قال ابن كثير:" هذا سؤال استعلام وكشف من نوح ﷺ عـن حال ولده الذي غرق ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ أي وقد وعـدتني بنجـاة أهلـي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أي ليس من الذين وعدت بنجاتهم، لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ولهـذا قال:﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ [هود:40]. فكان هذا الولد ممـن سـبق عليـه القول بالغرق، لكفره ومخالفته أباه نبيَّ الله نوحاًﷺ"[1]." والسبب(إنه عمل غير صـالح) كأنـه لفساده واجتنابه للصلاح والتزامه العمل غير الصالح، كأنه صار نفس العمل غير الصالح ومـن المعلوم أن الكفر يقطع الولاية بين المؤمنين و الكافرين من الأقربين، ويوجب براءة بعضهم من بعض"[2].

فكأن ابن نوح لم يعد من أهله لكفره، قال الإمام الرازي:" وهذه الآية ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ تدل على أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب، فان في هذه الصورة كانت قرابـة النسب حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انتفت قرابة الدين لا جرم نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾"[3]." وقد يقال كيف وقع هذا الـدعاء مـن نـوح؟ أي دعاؤه ربه أن ينجي ابنه، وقد علم أن الذين سبق عليهم القول هم الكـافرون الـذين قضـى الله بهلاكهم، وكان ابنه منهم، ولا يعقل أن يخفى عليه أمره؟ والجواب يحتمل أن نوحـاً حـين رأى ابنه بمعزل عن الكفار ظن أنه جنح إلى الإيمان، وصار من أهلـه الـذين وعـد الله بنجـاتهم. ويحتمل أن يكون قد فهم أن ابنه غير داخل في عموم قولـه تعـالى:﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود:36]، لأنه تعالى جعل الناجين صنفين: أهله إلا من استثني، ومن آمن من قومه. فجاز في فهمه ﷺ أن يؤمن من أهله من كان كافراً، لأنهم صـنف قـائم بذاته، وليسوا قسماً من الصنف الآخر، وهم المؤمنون من قومه، ووافق هذا الفهم وقواه رحمـة

---

1 - ابن كثير.**تفسير القرآن العظيم**(446/2-447).

2 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(84/12).

3 - الرازي. **التفسير الكبير**(2/17).

الأبُوّةَ وشفقتها، فسأل الله تعالى ما سأله بشأن ابنه، فعاتبه الله تعالى على ذلك بقولـــه:﴿... فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ... ﴾ [هود:46] أي لا تسألني في شيء من الأشياء ليس لك به علم صحيح أنه حق وصواب"[1].

﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ " أي أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك منه كراهية أن تكون من الجاهلين، أي الآثمـــين"[2].﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [هود:47]. والمعنى انه تعالى لما قال له:﴿... فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ...﴾ فكأنه قال عند ذلك: قبلت يا رب هذا التكليف ولا أعود إليه، إلا أني لا أقدر على الاحتراز منه، إلا بإعانتك وهدايتك، فلهـــذا قال:﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾، ثم أعلن توبتـــه ممـــا قالـــه، ﴿ وَإِلا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾، لأن التوبة تقوم بأمرين:

(الأول): في المستقبل وهو العزم على الترك وإليه الإشارة فـــي قولـــه: ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾، و**(الثاني)** في الماضي وهو الندم على ما صدر منه، واليه الإشارة بقوله: ﴿ وَإِلا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[3].

المطلب الرابع: آثار الطوفان وهل عمَّ الأرض أم لا ؟

للعلماء رأيان في عموم الطوفان الأرض، فقال جماعة: لقد عم جميـــع أنحـــاء الأرض، بدليل وجود بقايا حيوانية مائية في أعالي الجبال [4].

وقال آخرون: لم يكن عاماً وإنما كان على الجهة التي كان يسكنها نوح وقومه، وهـــي بلاد الشرق الأوسط وما جاورها[1].

---

1 - المنار.**تفسير القرآن الحكيم**(84/12-85).

2 - القرطبي.**الجامع لأحكام القرآن**(48/9).

3 - انظر.الرازي.**التفسير الكبير**(5/18) .

4 - انظر. الطبري. **جامع البيان**(37/12)، والرازي. **التفسير الكبير**(6/18)، والشعراوي. **تفسير الشعراوي**(6479/11) والصابوني. **مختصر ابن كثير**(221/2).

ومن الذين قالوا بأن الطوفان عمَّ الأرض كلها الفخر الرازي عند تفسير قولـه تعـالى: ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:48].

فقال :"... والثاني: أن ذلك الغرق لما كان عاما في جميع الأرض فعندما خـرج نـوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوان، فكان كالخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب، فلما قـال الله تعالى:﴿ ٱهۡبِطۡ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا ﴾[هود:48] زال عنه ذلك الخوف، لأن ذلك يـدل علـى حصـول السلامة من الآفات ولا يكون ذلك إلا مع الأمن وسعة الرزق، ثم إنه تعالى لما وعده بالسـلامة أردفه بأن وعده بالبركة وهي عبارة عن الدوام والبقاء، والثبات، ونيل الأمل " [2].

ومن الذين رجحوا هذا القول أيضاً الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير حيث قال: " ومن المعلوم أن البلاء يعم والرحمة تخص، والنقمة لا تقتصر على الظالمين، فتشمل الأطفـال الأبريـاء والوحـوش والطيـور:﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً...﴾[الأنفال:25] " [3]. ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً ﴾أي ذنباً. وفسر الـذنب بـإقرار المنكـر فـي المجتمع، والمداهنة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وظهور البـدع والتكاسـل عـن الجهاد[4].

ومن أصحاب الرأي الآخر عفيف طبّارة حيث قال:" الظـاهر فـي القـرآن والحـديث الشريف يدل على أن الطوفان كان شاملا لقوم نوح فقط وهذا لا يقتضي أن يكون الطوفان عاماً للأرض إذ لا دليل على أن البشر كانوا يقطنون الأرض كلها بل كانوا منحصرين فـي منطقـة معينة وهي التي عمها الطوفان" [5].

---

1 - انظر. طبّارة. **مع الأنبياء في القرآن**(ص:73)، وبوكاي. **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة** (ص:167).نقلاً عن عباس. **إعجاز القران الكريم**(ص:151).

2 - الرازي. **التفسير الكبير**(6/18).

3 - الزحيلي. **التفسير المنير**(252/8).

4 - انظر. الزمخشري. **الكشاف**(299/2) والآلوسي . **روح المعاني**(192/9).

5 - طبّارة. **مع الأنبياء في القرآن الكريم**(ص:73).

وقد أيد هذا القول أيضاً موريس بوكاي في كتابه الكتب المقدسة في ضـــوء المعـــارف الحديثة حيث قال:" والقرآن حينما يتحدث عن كارثة الطوفان يتحدث عنها باعتبارها عقابا نـــزل بشكل خاص على شعب نوح، ولكن التوراة كما ذكرنا تجعله عقابا عالميا"[1].

أما سيد قطب فقد اعتبر أن الإجابة عن هذا السؤال هو من قبيل الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً.

قال -رحمه الله-:" وبعد ... أكان الطوفان عامّاً في الأرض؟ أم أنه كـــان فـــي تخـــوم الأرض التي بعث فيها نوح؟ أين كانت هذه الأرض ؟وأين تخومها في العالم القديم وفي العـــالم الحديث؟ أسئلة لا جواب عليها إلا الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً؛ وإلا الإسرائيليات التي لا تستند إلى دليل صحيح وليس لها بعد ذلك قيمة في تحقيق أهداف القصص القرآني في كثير ولا قليل.

ولكن هذا لا يمنع من القول بأن ظاهر النصوص القرآنية يلهم أن قوم نوح كـــانوا هـــم مجموع البشرية في ذلك الزمان. وأن الأرض التي يسكنونها كانت هي الأرض المعمورة فـــي ذلك الحين. وأن الطوفان قد عم هذه الرقعة، وقضى على جميع الخلائق التي تقطنها - فيما عـــدا ركب السفينة الناجية.

وهذا حسبنا في إدراك طبيعة ذلك الحادث الكوني الذي جاءنا خبره من المصدر الوحيد الوثيق عن ذلك العهد السحيق، الذي لا يعرف (التاريخ) عنه شـــيئاً. وإلا فيومهـــا أيـــن كـــان (التاريخ) ! إن التاريخ مولود حديث لم يسجل من أحداث البشرية إلا القليل! وكل ما سجله قابل للخطأ والصواب، والصدق والكذب، والتجريح والتعديل! وما ينبغي قط أن يستفتى ذات يوم في شأن جاءنا به الخبر الصادق. ومجرد استفتاءه في مثل هذا الشأن قلب للأوضاع، وانتكاســـة لا تصيب عقلا قد استقرت فيه حقيقة هذا الدين!

ولقد حفلت أساطير شتى الشعوب وذكرياتها الغامضة بذكر طوفـــان أصـــاب أرضـــها بتاريخ قديم مجهول، بسبب معصية ذلك الجيل الذي شهد ذلك الحادث الكبير.. وأســـاطير بنـــي إسرائيل المدونة فيما يسمونه (العهد القديم) تحوي كذلك ذكرى طوفان نوح.. ولكن هـــذا كلـــه شيء لا ينبغي أن يذكر في معرض الحديث القرآني عن الطوفان؛ ولا ينبغي أن يخلـــط الخبـــر الصادق الوثيق بمثل هذه الروايات الغامضة وهذه الأساطير المجهولة المصدر والأســـانيد. وان كان لوجود هذه الأخبار الغامضة عن الطوفان عند شعوب شتى دلالته في أن الطوفان قد كـــان

---

1 - عباس. **إعجاز القرآن الكريم**(ص:151). وقد استوفينا الكلام عن الطوفان من خلال ما كتبه(موريس بوكاي) في الفصل الأول في المطلب الثالث عند الحديث عن البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح عليه السلام. فليراجع هناك.

في أرض هذه الأقوام؛ أو على الأقل قد رحلت ذكرياته مع ذراري الناجين حين تفرقوا في الأرض بعد ذلك وعمروا الأرض من جديد"[1].

والذي يترجح لي - والله أعلم - أن الأرض يجوز أن يراد بها جميع الكرة الدنيوية، وأن يراد أرض معهودة للمتكلم والمخاطب كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ والأرض هنا هي مصر.

ولا أستطيع أن أخفي ما بنفسي من ميل نحو ترجيح القول الثاني وهو أن الطوفان لم يكن عاما ولا شاملا للأرض، إنما كان شاملا لقوم نوح الذين لم يكن في الأرض غيرهم، وذلك في منطقة الشرق الأوسط، أما أجزاء الكرة الأرضية الأخرى فلا يدل نص قاطع في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف على تغطيتها بالطوفان.

---

1 - قطب . **في ظلال القرآن**(1881/4).

الفصل الثالث

دعوة نوح عليه السلام

المبحث الأول: نوح الداعية

المطلب الأول : أساليب الدعوة عند نوح عليه السلام[1].

لقد قام نوح عليه السلام بواجب الدعوة إلى عبادة الله وحده كما أمره الله، وذلك في قوله: ﴿... أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[نوح:1].

وقد سلك نوح عليه السلام - أو حاول أن يسلك - إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم بشتى الأساليب، ومتنوع الوسائل في دأب طويل، وصبر جميل، وفي جهد نبيل امتدَّ ألف سنة إلا خمسين عاماً، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلوا عن الباطل، ويتبعوا الحق، ومع ذلك كله لم يستجب له إلا القليل من قومه. ومن الأساليب التي اتبعها نوح عليه السلام في دعوته:

أولاً: القول اللين :

خاطب نوح عليه السلام قومه وهو يدعوهم إلى الله تعالى بما عسى أن يثير مشاعرهم نحوه فيقبلون عليه، ويقبلون منه ما يدعوهم إليه، خاطبهم بقوله" يا قوم" قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ...﴾ [الأعراف:59]. " أي فناداهم بصفة القومية مضافة إليه استمالة لهم"[2] فهو يشعرهم بهذه الكلمة بأنهم قومه فهو منهم، والأصل أن الشخص يريد الخير لقومه، فعلى قومه أن يستمعوا لما يدعوهم إليه ويتأملوا فيه. وفي آية أخرى قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء:106].

1- تكلم عن هذه الأساليب كلٌّ من. قطب. **في ظلال القرآن**(ص:3712 -3716)، والقرضاوي. يوسف عبد الله. **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**(جزء واحد) دار الشروق(القاهرة)ط1: 1424هـ -2004م(ص:29 -50)، وزيدان. عبد الكريم. **أصول الدعوة** (جزء واحد) ط3: 1396هـ -1976م(ص: 405 وما بعدها) وزيدان. **السنن الإلهية**(ص:119 -122) وزيدان. عبد الكريم. **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**(2مج) مؤسسة الرسالة(بيروت)ط1: 1421هـ -2000م(152/1 وما بعدها) وصقر. عبد البديع. **كيف ندعو الناس**(جزء واحد) مكتبة وهبة(القاهرة) ط10: 1410هـ -1990م(ص: 32 -34)، وعلوان. عبد الله ناصح. **كيف يدعو الداعية**(جزء واحد) دار السلام ط1: 1405هـ - 1985م(ص: 10 -42) والخالدي. **القصص القرآني**(167/1 -169)، وعباس.**قصص القرآن الكريم**(ص:191 -194)، وعمارة.محمود محمد. **فقه الدعوة من قصة موسى**عليه السلام (جزء واحد) مكتبة الإيمان(المنصورة) ط1: 1417هـ -1997م.(ص:163 -165).

2 - المنار.**تفسير القرآن الحكيم** (490/8).

فكلمة:(أخوهم) وهي تعني أخوّة النسب لا الدين، تثير فيهم عاطفة الأخوة النسبية وتوحي لهم بأنه يريد لهم الخير، فهو ليس بعيدا عنهم ولا غريباً منهم، إنه أخوهم .

ثانياً: النصح لهم والحرص عليهم :

لم يكتف نوح عليه السلام بتلطفه في مخاطبة قومه وإنما أظهر لهم شفقته وحرصه على نصحهم وإرادة الخير لهم، ومن مظاهر شفقته عليهم، أنه أنذرهم من عذاب الله إن رفضوا دعوته، والشفيق يحذر من يشفق عليه مما يضره ومن أسباب هذا الضرر، قال تعالى مخبراً عن نوح:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ [نوح:1-2] " يقول تعالى - مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا وقبلوا دعوة نوح رفع عنهم ما أنذرهم به"[1]، قال تعالى:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف:59] " أي أخاف عليكم من عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به"[2]. ولما ردّ الملأ من قومه وهم السادة والكبراء والقادة على نوح عليه السلام بقولهم:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الأعراف:60] قال لهم نوح عليه السلام:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[الأعراف:60-61]، فقول نوح عليه السلام ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمۡ ﴾" أي أقصد صلاحكم بإخلاص"[3]، ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾" أي أعلم من الأمور الغيبية التي لا تُعلم إلا من طريق الوحي، أعلم أشياء لا علم لكم بها، وأعلم من قدرة الله وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين الكافرين مالا تعلمونه أنتم"[4].

---

1 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (424/4).

2 - المصدر السابق (223/2).

3 - القاسمي. **محاسن التأويل** (160/7).

4 - المصدر السابق.

قال ابن كثير:" وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً مبيّناً في تبليغه ناصحاً لقومه عالماً بالله لا يدركه أحدٌ من خلق الله في هذه الصفات"[1].

ثالثا: تخيّر الأوقات والكيفيات المناسبة:

وكان نوح عليه السلام يغتنم كل فرصة ليدعو قومه إلى الله، سواء سنحت له هذه الفرصة في ليل أو نهار، كما أنه عليه السلام كان ينوع صيغ وكيفيات دعوته لهم، فكان يدعوهم جهاراً وسراً وعلانية على أمل أن تنجح معهم هذه الأساليب فيستجيبوا لدعوة نوح قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا... ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[نوح:5 -9] أي دعوتهم مرة بعد مرة ليلاً ونهاراً على وجوه متنوعة ما بين مجاهرة وإظهار بلا إخفاء، وما بين إعلان وصياح بهم، وما بين إسرار فيما بيني وبينهم في خفاء[2]. وهذه المراتب التي سار معها نوح كانت على النحو التالي:

أ - أسلوب الجهر بالدعوة .

فمن الأساليب التي اتبعها نوح عليه السلام أسلوب الجهر بالدعوة وهو:الدعوة الجهرية الجماهيرية العامة على المستوى الاجتماعي، في المؤتمرات واللقاءات. وهذا ما يوضحه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ جهاراً، نعت لمصدر محذوف. أي دعاءاً جهاراً. أو مصدر في موضع الحال، أي مجاهراً يعني أظهرتُ لهم دعوة الله في المجالس جهرةً ليسمعها الناس[3].

ب -أسلوب الإعلان في الدعوة.

وهاهو نوح عليه السلام يستخدم أسلوباً آخر في الدعوة إلى الله تعالى، إنه يدعوهم الدعوة العلنية على المستوى الأقل والأضيق من الدعوة الجهرية:﴿ ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ أي كلاماً ظاهراً بصوت عال[4] .

1 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (223/2).

2 - انظر. الفرّاء. أبو زكريا يحيى بن زياد (ت:207هـ) **معاني القرآن** (3مج) عالم الكتب(بيروت)ط2: 1980م (187/3).

3 - انظر. السمين الحلبي. **الدر المصون** (383/6) وابن عادل.أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت:880هـ).**اللباب في علوم الكتاب** (20مج) دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1419هـ- 1998م.تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض.(301/18).

4 - انظر. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (246/8) وابن الجوزي.**زاد المسير في علم التفسير**(125/8).

ج -**أسلوب الإسرار في الدعوة .**

وبعد أن بذل نوح عليه السلام جهده في دعوتهم جهراً وعلناً عاد ليدعوهم الدعوة السرية الخاصة، في اللقاءات الجانبية السرية الخفية: ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾" أي وأسررت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء"[1].

واعلم أن هذه الآيات تدل على أن مراتب دعوته كانت ثلاثة، فبدأ بالمناصحة في السر، ثم ثنّى بالمجاهرة، فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار، وكلمة(ثم) دالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض إما بحسب الزمان، أو بحسب الرتبة، لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الإسرار والجهار أغلظ من الجهار وحده. وهذه المراتب والتنوع في أساليب الدعوة أقصى ما يمكن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يفعلها لتكون أنجع فيهم[2].

رابعاً: الترغيب:

رغّب نوح قومه في الاستجابة لدعوته بما وعدهم به من أن الله تعالى سيغفر ذنوبهم، ويبارك في أعمارهم، وفي بركتها فرصة طيبة لهم؛ ليزدادوا من فعل الخير، وبمباركة أعمارهم، ومغفرة ذنوبهم منفعة مؤكدة لهم في الآخرة، قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[نوح:2 -4] أمرهم نوح عليه السلام بثلاثةِ أشياء: أن يعبدوا الله ويتقوه ويطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، ورغَّبَهم في هذه الأشياء الثلاثة بأنهم إن فعلوها غفر الله ذنوبهم، وبارك أعمارهم، وفي ذلك خير مؤكد ومنفعة لهم في الآخرة. فقوله: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝

---

1 - ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب** (384/19)، وانظر.الطبري. **جامع البيان** (93/29)، والفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب(ت:813هـ) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**(6مج) المكتبة العلمية(بيروت) (بلا)ط. تحقيق: عبد العليم الطحاوي(27/6).

2 - انظر.الأندلسي.**البحر المحيط** (282/10) والزمخشري. **الكشاف** (162/4)، والرازي. **التفسير الكبير** (135/30 -136) والقاسمي. **محاسن التأويل** (295/16).

يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى... ﴾" أي وحّدوا الله وخافوه وأطيعون فيما أمرتكم به يغفر لكم ذنوبكم، ويبارك لكم في أعماركم"[1].

ثم وعدهم نوح ﷺ أنهم إن استجابوا لدعوته، وعبدوا الله وحده، وتابوا إليه واستغفروه فإن الله تعالى سيسبغ عليهم نعمه في الدنيا، وييسر لهم ما يحبونه من منافعها، وهذا تشجيع من نوح ﷺ لقومه على طاعته،وترغيب لهم قي الاستجابة لدعوته بما وعدهم به من خيرات الدنيا ومتاعها. قال تعالى مخبراً عن نوح ﷺ:﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا، يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا، وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا ﴾ [نوح:10 -12]، فقوله :﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ...﴾" أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة بإخلاص الإيمان"[2]. وقوله:﴿...إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ أي ترغيب منه لقومه بالتوبة. ثم رغبهم في الإيمان فقال:﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ﴾ أي يرسل ماء السماء؛ ففيه إضمار[3]. قوله: ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا ﴾" يعني ويزدكم الله بالتوبة والاستغفار أموالاً وبنين في الدنيا، ويمن الله عليكم من فضله وواسع كرمه بجنات النعيم، تتفجر من خلالها ومن تحتها الأنهار سائحة جارية"[4]. وفي هذه الآية دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار[5].

خامساً: الترهيب:

ولم يقتصر نوح ﷺ على أسلوب الترغيب في تبليغ دعوته إلى قومه وحثهم على الاستجابة لها، وإنما أخذ أيضاً بأسلوب الترهيب أي تخويفهم من العذاب في الدنيا والآخرة إن عصوه ولم يستجيبوا لدعوته، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن

---

1 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (299/18)، وانظر. النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود(ت:701هـ) **تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**(2مج) دار الفكر(بلا)ط (294/2).

2 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**(301/18).

3 - انظر. ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب** (385/19)، والقرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (301/18)، والغزالي. محمد. **مع الله** (جزء واحد) المكتبة الإسلامية. ط5: 1401هـ -1981م.(ص:296 وما بعدها).

4 - عبد العزيز. **التفسير الشامل** (3439/6).

5 - انظر. ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب** (385/19)، والقرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (303/18).

قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[نوح:1] " قال مقاتل: يعني الغرق بالطوفان"[1] وهذا ترهيب لهم من عصيانه بعذاب الدنيا بالغرق. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:59]، " أي أخاف عليكم عذاب يوم القيامة إذا خالفتم أمري، ولقيتم الله وأنتم مشركون به"[2]. وهذا ترهيب لهم بعذاب الله يوم القيامة إن خالفوه، ولم يستجيبوا لدعوته، وقال تعالى عما قاله نوح ﷺ لقومه: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[نوح:13]' أي ما لكم لا ترون لله عظمة. وقال ابن عباس: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته أي لا تخافون من بأسه ونقمته"[3].

" وتأتي أهمية هذين الأسلوبين - الترغيب والترهيب - من كونهما استجابةً لقانون من قوانين النفس الإنسانية، فالإنسان يحب ما ينفعه، - وبالقوة نفسها -ينفر مما يضره. والدعوة الناجحة هي التي تستثمر العاملين كليهما لمصلحة المدعو نفسه. إذن فهو مظهر من مظاهر واقعية المنهج الإسلامي.

ففي النفس عوامل كثيرة: عامل الخوف، وعامل الرجاء، وعامل الحب. والداعية الموفق من استطاع استغلال هذه الدوافع جميعاً في مزيج متكامل؛ أما التركيز على عامل وإهمال آخر فهو من الخطأ الذي لا ينبغي للداعية المؤمن أن يقع فيه"[4].

الخلاصة:

إن نبينا نوحاً ﷺ سلك في دعوته قومه إلى الله تعالى - أساليب متعددة آملاً من وراء ذلك أن يستجيب قومه لما يدعوهم إليه، ولكن مع ذلك لم يستجب له إلا القليل منهم، وهذا يدل على أن أحقيّة الدعوة، وصحة أسلوب تبليغها لا يكفيان لاستجابة المدعوين وقبولهم بها، بل لابد من قابلية المدعوين إلى هذه الاستجابة.

ومن الملاحظ كذلك أن التأكيد على إخلاص العبودية لله، ظاهر بارز في جميع أساليب الدعوة عند نوح ﷺ، منها الآيات التي ذكرناها قبل قليل مثل قوله تعالى حكاية عن قوم نوح:

---

1 - الرازي. **التفسير الكبير** (134/30)، وانظر.الأخفش. أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلّخي البصريّ(ت:215هـ) **معاني القرآن**(2مج) الصفاة(الكويت)ط2: 1401هـ-1981م. تحقيق: د.فائز فارس، والقشيري. أبو قاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت:465هـ) **تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات**(3مج) دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1420هـ-2000م. تعليق: عبد الطيف حسن عبد الرحمن. (355/3).

2 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (223/2).

3 - المصدر السابق (425/4).

4 - عمارة. **فقه الدعوة** (ص:163).

﴿...قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ...﴾[الأعراف:59] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح:2 -3]. فنوح عليه السلام تلطف مع قومه في صيغ الخطاب، ولكن مع وضوح إخبارهم بأن الله هو المعبود الحق وأنَّ عليهم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا بعبادته أحداً.

المطلب الثاني : عمر الدعوة ونتائجها.

الفرع الأول: عمر الدعوة.

بعد أن بين نوح عليه السلام لقومه فائدة الاستغفار وما يترتب عليه من السعادة الدنيوية وجه أنظارهم إلى قدرة الله لعلهم يؤمنون، فقال الله مخبراً عن نوح: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾[نوح:13 -14]' أي كيف لا تخافون عظمة الله وسلطانه وقد خلقكم طوراً بعد طور بطريقة التدرج من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم كسا هذه المضغة عظاماً ولحماً"[1].

ثم تابع نوح عليه السلام مخاطبتهم لافتاً أنظارهم إلى قدرة الله فوقهم قال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾[نوح:15 -20]" أي ألم تنظروا فوقكم كيف خلق الله السماوات المطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في السماوات منوراً لوجه الأرض، من غير حرارة، وجعل الشمس مصدر الضوء كالسراج: وهو المصباح الذي يزيل ظلمة الليل، وينشر الحرارة والدفء"[2].

---

1 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (303/18) بتصرف .

2 - الزحيلي.**التفسير الوسيط** (2745/3)، وانظر. الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**(10مج) عالم الكتب(بيروت) (بلا)ط (528/8 -529)، ومتولي. أحمد مصطفى. **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية**(جزء واحد) دار ابن الجوزي(القاهرة) ط1: 1426هـ -2005م.(ص:57 -58).

" و قد أثبت التقدم العلمي أن ضوء الشمس من ذاتها فهي سراج، وأما القمر فليس ضوئه من ذاته إنما هو قد أنير بضوء الشمس"[1].

وبعد أن أكثر نوح عليه السلام من تقديم الأدلة والبراهين لهم، وبعد أن أقام الحجة عليهم، ودفعهم بآيات الله الدافعة، إلا أنهم لم يستجيبوا له، وعصوا أمره، واتبعوا الشياطين. ولم تترك دعوته عليه السلام في قومه إلا أثراً ضئيلاً.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[العنكبوت:14 -15].

أي أن نوحاً عليه السلام لبث في قومه يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة[2] وهذا يدلنا على" أن فترة رسالته التي دعا فيها قومه كانت ألف سنة إلا خمسين عاماً. وقد سبقتها فترة قبل الرسالة غير محددة، وأعقبتها فترة كذلك بعد النجاة من الطوفان غير محددة. وهو عمر طويل مديد، يبدو لنا الآن غير طبيعي ولا مألوف في أعمار الأفراد. ولكننا نتلقاه من أصدق مصدر في الوجود - وهذا وحده برهان صدقه فإذا أردنا له تفسيراً فإننا نستطيع أن نقول: إن عدد البشرية يوم ذاك كان قليلاً محدوداً، فليس ببعيد أن يعوض الله هذه الأجيال عن كثرة العدد طول العمر، لعمارة الأرض وامتداد الحياة . حتى إذا تكاثر الناس وعمرت الأرض لم يعد هناك داع لطول الأعمار، وهذه الظاهرة ملحوظة في أعمار كثير من الأحياء.

فكلما قل العدد وقل النسل طالت الأعمار، كما في النسور والزواحف كالسلحفاة. حتى ليبلغ بعضها مئات الأعوام. بينما الذباب الذي يتوالد الملايين لا تعيش الواحدة منه أكثر من أسبوعين، ولله الحكمة البالغة. وكل شيء عنده بمقدار"[3].

وقد روعيت هنا نكتة لطيفة؛" وهي التعبير بالسنة عن المدة التي قضاها نوح عليه السلام في قومه؛ لأن السنة تشير إلى الشدة والصعوبة، والتعبير بالعام عن المدة التي لم يكن مع قومه فيها والعام فيه معنى اليسر، كما أن السنة تطلق على التقويم الشمسي، والعام على القمري وهو أقل بأحد عشر يوماً، ففي السنة إشارةٌ إلى الطول والشدة"[4]، والعرب تعبر عن الخصب بالعام،

---

1 - الزنداني. عبد المجيد عزيز. **توحيد الخالق**(جزء واحد) مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت) ط4: 1411هـ -1991م (ص:356).

2 - انظر. الرازي . **التفسير الكبير**(41/25)، والزحيلي. **التفسير المنير**(209/20).

3 - قطب . **في ظلال القرآن** (2727/5).

4 - عباس. **قصص القرآن الكريم** (ص:197).

وعن الجدب بالسنة. وذلك بيّنٌ في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام :﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾[يوسف:47] كان يقصد الأيام الشاقة، كذلك قول رب العزة:﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف:130] فهي أيام قحط وجفاف. وعندما ذكر سيدنا يوسف أيام الرخاء قال:﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾[يوسف:49] كما أن السنة تطلق على التقويم الشمسي، والعام على القمري وهو أقل بأحد عشر يوماً، ففي السنة إشارة إلى الطول والشدة. فما أجلَّ هذه اللغة البيانية الرائعة! [1].

الفرع الثاني: نتائج الدعوة.

لقد بيَن الله تعالى أن نوحاً عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فماذا كانت النتيجة وماذا كانت الحصيلة؟

لقد تبدت من خلال قصة نوح عليه السلام ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة، فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم لم يؤمن معه إلا القليل.

قال تعالى:﴿... وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[هود:40]. فبعد أن أمر الله نوحاً عليه السلام أن يحمل معه من آمن من قومه، بيّن أن الذين آمنوا من قومه هم قلة قليلة.

ولم يبيّن لنا الله تعالى ولا رسوله عددهم فكل ما قاله المفسرون فيهم مردود لا دليل عليه[2]، فكما قال ابن جرير الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن مبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ "[3].

يقول الدكتور صلاح الخالدي:" بقي أن نقول: ما دلالة هذا القليل الذي آمن بنوح عليه السلام .

---

3 - انظر.ابن عادل .**اللباب في علوم الكتاب**(325/15)، والسمين الحلبي. **الدر المصون** (361/5)، وخالد.عمرو. **قصص الأنبياء**(جزء واحد) دار المعرفة(بيروت) ط1: 1427هـ -2006م(ص:144).

2 - انظر.الرازي. **التفسير الكبير**(228/17)، والمنار. **تفسير القرآن الحكيم** (76/12).

3 - الطبري. **جامع البيان** (43/12).

إنه يدل - من جملة ما يدل عليه - على أن الأكثرية من الناس تتبع الباطل دائماً، وتسير مع الشيطان، وترفض الحق. وأن أنصار الحق دائماً قليلون من حيث العـدد، وأن هـذه القلـة المباركة هي المؤثرة في الحياة، المقدَّمة عند الله.

وقد قررت آيات القرآن هذه الحقيقة .

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[يوسف:103].

قال تعالى: ﴿... وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾"[1] [سبأ:13].

وهنا يتابع الدكتور صلاح الخالدي كلامه فيقول: " ونقف لنتساءل: هل قصّر نـوح عليه السلام في الدعوة، ولم ينجح في تقديمها وعرضها، حتى كانت الحصيلة بعد حوالي ألف سنة هذا العدد القليل؟ هل كان فاشلاً في الدعوة ؟ كلا، لقد كان داعية ناجحاً موفقاً، قـام بالـدعوة، وأحسـن عرضها، والدفاع عنها، والاحتجاج لها، واستمر على هذا حوالي ألف سنة، لكن القوم أصـروا على كفرهم، فماذا يمكن أن يفعل لهم؟ هل يمكن أن يُكرههم على الإيمان .

لقد كان صريحاً في تقرير هذا المعنى لهـم: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[هـود:28]. و: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[هود:34].

ولقد قررت آيات القرآن تسلية نوح ومواساته من ربه، على ما لقي من كفـر وصـدود قومه:﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾"[2] [هود:36].

---

1 - الخالدي. **القصص القرآني** (1/181-182).

2 - المصدر السابق. وانظر. السعدي. عبد الرحمن بن ناصر(ت:1376هـ) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**(2مج) دار الفجر للتراث(القاهرة) ط1: 1424هـ-2003م. تقديم: محمد بن صالح العثيمين.(1/661). و "من لطائف القرآن الكريم التي يظهر فيها عظمته وإعجازه ودقائقه البيانية قوله سبحانه في هذه السورة، ﴿ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [هود:36] وفي السورة التي تليها قول يوسف عليه السلام لأخيه ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [يوسف:69] . وأحد الفروق بين الفعل والعمل أن العمل إنما هو الذي يقصد إليه صاحبه، وإخوة

"وعلى الرغم من المدة التي قضاها بينهم؛ إلا أنهم لم يرعوا، وكان من الممكن أن يستمر في دعوته لولا أن الله تبارك وتعالى أوحى إليه بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وما آمن معه إلا قليل وهنا - وقد أدرك أن لا خير يرجى منهم - يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء ﴿... رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[نوح:25 -28] حتى دعاؤه على الكافرين لم يكن تشفياً، وإنما من أجل العقيدة ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴾ وهو درس لو تعلمون عظيم. وهنا لابد أن نتذكر ما كان من سيدنا رسول الله ﷺ وقد جاءه ملك الجبال من أجل أن ينزل بأهل مكة العذاب فيقول كلمته العظيمة، التي لا زالت يسري عبقها في هذا الكون هداية وتربية وحكمة نافذة، وحكمة وبصيرة (بـ أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)"[1].

" وأخيراً كان ما توقعه النبي - عليه الصلاة والسلام - فأخرج الله من أصلاب أولئك من عبده ووحده ونافح عن دينه وعن نبيه - عليه الصلاة والسلام -، فصلى الله على نوح، أول رسول دعا ولم يأل جهداً في دعوته وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه آخر رسول دعا، واستجاب الله له، وكانت الآخرة خيراً له من الأولى وسلم تسليماً كثيراً "[2].

"وقد يعن للإنسان أن يسأل: ترى تساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل، وتلك التضحيات النبيلة، ومن لدن نوح عليه السلام - إلى محمد -عليه الصلاة والسلام - ثم ما كان بينهما وما تلاهما من جهود المؤمنين بدعوة الله وتضحياتهم الضخام؟"[3].

وهنا يتابع سيد -رحمه الله - كلامه فيقول:" ثم ترى هذه البشرية كلها تساوي تلك العناية الكريمة من الله، المتجلية في استقرار إرادته سبحانه على إرسال الرسل تترى بعد العناد والإعراض والإصرار والاستكبار، من هذا الخلق الهزيل الصغير المسمى بالإنسان !

والجواب بعد التدبر: أن نعم .. وبلا جدال .. !

يوسف كان فعلهم كله عن إصرار وقصد سابق، أما قوم نوح فقد كانت أفعالهم في كثير من الأحيان على غير قصد سابق، ارتجالاً لا كما كان أخوة يوسف ".عباس. **قصص القرآن الكريم** (ص:184 -185).

1 - عباس. **قصص القرآن الكريم** (ص:205). والحديث أخرجه مسلم. **صحيح مسلم.** كتاب الجهاد والسير باب(ما لقي النبيﷺ من أذى المشركين والمنافقين) برقم(1795)(1420/3).

2 - المصدر السابق.

3 - قطب. **في ظلال القرآن** (6/ 3708 -3709).

إن استقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوي كل هذا الجهد، وكل هذا الصبر، وكل هذه المشقة، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل!.

ولقد أثبت الواقع التاريخي المتكرر أن النفس البشرية لم تبلغ إلى آفاق الكمال المقدر لها بأية وسيلة كما بلغتها باستقرار حقيقة الإيمان بالله فيها. وأن الحياة البشرية لم ترتفع إلى هذه الآفاق بوسيلة أخرى كما ارتفعت بهذه الوسيلة. وأن الفترات التي استقرت فيها هذه الحقيقة في الأرض، وتسلَّم أهلها قيادة البشرية كانت قمة في تاريخ الإنسان سامقة، بل كانت حلماً أكبر من الخيال، ولكنه متمثل في واقع يحياه الناس"[1] .

ثم يتابع سيد -رحمه الله- كلامه فيقول:" وهذا كله يستحق - بدون تردد - كل ما يبذله المؤمنون من جهود مضنية، ومن تضحيات نبيلة، لإقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض. وإقامة قلوب تنطوي على قبس من نور الله، وتتصل بروح الله. وإقامة حياة إنسانية يتمثل فيها منهج الله للحياة. وترتفع فيها تصورات البشر وأخلاقهم كما يرتفع فيها واقع حياتهم إلى ذلك المستوى الرفيع، الذي شهدته البشرية واقعاً في فترة من فترات التاريخ "[2].

---

1 - المصدر السابق.

2 - المصدر السابق.

المبحث الثاني:

الدروس المستفادة من قصة نوح عليه السلام

قال تعالى:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ... ﴾[الأنعام:90] " أي أولئك الذين هدى الله من الأنبياء - ومنهم نوح- الذين تقدم ذكرهم هم الهداة المهديون، فتأسَّ واقتدِ بسيرتهم وبطرقهم التي سلكوها في الدعوة إلى الدين وإقامته"[1]." وإذا كان هذا الاقتداء بالرسل السابقين، ومنهم نوح عليه السلام، أمراً لرسول الله ﷺ، فأمته تبعٌ له في هذا الاقتداء"[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[هود:120] "أي كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجّات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين. كل هذا مما نثبت به فؤادك أي قلبك يا محمد، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة "[3]. وفي ضوء ما تقدم: سأذكر في هذا المبحث - إن شاء الله الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح عليه السلام، لا سيما وأنه عليه السلام لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله -تعالى-، ويجادلهم دون كللٍ أو ملل.

أولاً: دلالة قصة نوح عليه السلام على مصدر القرآن:

نص القرآن الكريم في ختام قصة نوح عليه السلام على دلالة القصة التي أوردها على أن القرآن الكريم كلام الله: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[هود:49]" أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك أنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك"[4] .

1 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(596/7)، وانظر.السيوطي. **الدر المنثور في التفسير المأثور** (53/3)، والصابوني. محمد علي. **صفوة التفاسير**(3مج) دار الصابوني(القاهرة)ط9: 1396هـ -1976م(404/1).

2 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**(155/2).

3 - المصدر السابق(465/2)، وانظر. حوى.**الأساس في التفسير**.(2610/5).

4 - المصدر السابق (284/4).

ثانياً: التلطف مع المدعوين:

على الداعي المسلم أن يتلطف في مخاطبة من يدعوهم، وذلك باستعمال الألفاظ الرقيقة التي تساعد على إقبال المدعو على الداعي وإصغائه لما يقول، كأن يقول له يا أخي، أو يناديه بكنيته كأن يقول له: يا أبا فلان، وإذا كان يخاطب جمعاً من الناس فمن المستحسن أن يقول لهم: يا قومي كما كان يقول نوح ﷺ لقومه وهو يخاطبهم. أو يقول لهم: يا أبناء عشيرتي، أو يا أهل بلدتي، مما يشعرهم بأنه - أي الداعي - واحدٌ منهم ليس بعيداً عنهم. ويجوز للداعي أن يخاطب المدعوين بما يُذكّرهم بطيب أصلهم، وحسن سيرة آبائهم وأجدادهم، وجهادهم في خدمة الإسلام، وأنهم - أي من يخاطبهم ويدعوهم - أهلٌ لأن يكونوا مثل آبائهم وأجدادهم في حسن سيرتهم، وخدمتهم لدين الله، على أن يكون مدح الداعي لآباء المدعوين بحدود ما يعلمه عنهم، وبدون إسراف في المدح والثناء.

التلطف يكون مع المدعوين الكفار والعصاة:

والتلطف يكون مع الكفار ومع المسلمين العصاة، قال الإمام القرطبي وهو يفسر آية ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [النحل:125] "هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة"[1].

ثالثاً: الشفقة على المدعو والنصح له:

وعلى الداعي أن يشعر المدعو بالشفقة عليه، والنصح له، وأن يبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو، أو احتقاره، أو إظهار فضله عليه، وإنما عليه أن يُكلِّمَهُ بروح الناصح الشفيق المخلص في نصحه وشفقته.. يكلمه كمبلغ لمعاني الإسلام، لا أن يكلمه كمبلغ له فضله وعلمه فعلى الداعي المسلم أن يبقى على هذا النهج ولا يحيد عنه، ولو قابله المدعو بما لا يليق. إن المدعو مريض الروح، والمريض يصدر منه مالا يصدر من الصحيح المعافى، فقوم نوح ﷺ قالوا له:﴿...إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الأعراف:60]، فأجابهم نوح: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[الأعراف:61-62]. فنوح ﷺ لم يغضب لقولهم واتهامهم

1 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (200/10).

له بالضلال، وإنما نفى عن نفسه الضلال، وأخبرهم بأنه رسول من رب العالمين؛ ليبلغهم ما أُرسل به إليهم، فكيف يكون الرسول ضالاً؟ وبمثل هذا الجواب الخالي من الغضب والانفعال والانتصار للنفس يُقبل المدعو على الداعي، ويستجيب لما يدعوه إليه إن لم يكن في المرة الأولى ففي المرات القادمة[1].

رابعاً: التبليغ بالكلام المبين:

وعلى الداعي أن يعلم بأن عليه أن يبلغ ما يريد تبليغه للمدعو بوضوح تام لا إبهام فيه ولا غموض، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ...﴾ [إبراهيم:4]. وجعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين، أي الواضح، لتقوم الحجة على المخاطبين، وهذا واجب الرسل قال تعالى: ﴿...وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [العنكبوت:18]، ولهذا قال نوح عليه السلام لقومه:﴿... يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ [نوح:2]. ومقياس الوضوح في كلام الداعي للمدعو ليس للداعي نفسه، فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة له غير واضح بالنسبة للمدعو، وكذلك ليس مقياس الوضوح وضوح الكلام بذاته فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة للمدعو، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ...﴾ فالبيان لهم أي للمدعوين وليس للداعي[2]. وفي الحديث النبوي الشريف عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فَصْلٌ يحفظه من جلس إليه)[3] " أي بيّناً ظاهراً يفهمه كل من يسمعه"[4].

---

1 - انظر. الصابوني. **مختصر تفسير ابن كثير** (28/2).

2 - انظر.عمارة. **فقه الدعوة**(ص:76).

3 - رواه الترمذي. (باب المناقب) برقم(3719) وقال عنه: حسن صحيح.انظر. الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت:279هـ) **سنن الترمذي**.(5مج) دار الفكر(بيروت)ط2 :1403هـ -1983م.حققه وصححه:عبد الرحمن محمد عثمان(261/5).

4 - المباركفوري.أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم(ت:1353هـ) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**(15مج)دار الفكر(بيروت)ط3: 1399هـ -1979م.ضبطه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان(123/15).

من لوازم الكلام المبين:

ومن لوازم (الكلام المبين) أن يتأنى الداعي في كلامه مع المدعو، فلا يسرع بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري أنَّ النبي ﷺ(كان إذا تكلم أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه)[1].

ومن لوازم (الكلام المبين) أن يبتعد الداعي في كلامه مع المدعو عن التفاصح والتعاظم في الكلام والتكلف في نطقه، ففي الحديث الشريف عن الرسول ﷺ أنه قال:" هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً "[2]. والتنطع في الكلام التفاصح فيه والتعمق فيه. وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"[3].

خامساً: الدعوة إلى الله في كل وقت ملائم:

والدعوة إلى الله يقوم بها الداعي في أي وقت ملائم في الليل والنهار، وبكل صيغة ملائمة لحال المدعو، لهذا قال -تعالى- على لسان نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[نوح:5]. فعلى الداعي أن يراعي الظروف والأحوال الملائمة للقيام بالدعوة، فلا يدعو في حالة غير ملائمة ولا مناسبة للمدعو، كأن يكون مشغولاً، أو في حالة شديدة من الإرهاق والتعب. وكذلك على الداعي أن يتخير الوقت المناسب فلا يقصد المدعو في وقت القيلولة مثلاً، أو في ساعة متأخرة من الليل.

على الداعي أن لا يُثقِل على المدعو:

على الداعي أن لا يُثقل على المدعو أو على المدعوين في تكرار تذكيرهم وموعظتهم مخافة السّآمة، وهذا بالنسبة لشخص معين أو جماعة معينة يدعوهم الداعي. أما بالنسبة لأصل قيام الداعي بالدعوة إلى الله فهذا يجب أن يستمر ولا ينقطع، ويتكرر، ودليلنا على ما قلناه إن

---

1 - روا ه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب العلم. باب (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه).برقم(95)(37/1).

2 - رواه مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب العلم، باب (هلك المتنطعون)، برقم(2670) (2055/4).

3 - رواه الترمذي. **سنن الترمذي**. باب(ما جاء في معالي الأخلاق)برقم(2087) وقال الترمذي عنه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. والثرثار هو كثير الكلام تكلفاً. والمتشدق هو المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه . والمتفيهق الذي يملأ فمه بكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً وإظهاراً للفضيلة على غيره.

انظر. النووي. أبو زكريا محي الدين بن شرف(ت:676هـ) **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**(جزء واحد) دار الجيل(بيروت) تقديم: د. محمد جميل غازي.(ص:231).

رسول الله ﷺ كان يتخول أصحابه الموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم، فقد أخـــرج الإمـــام البخاري -رحمه الله تعالى- عن ابن مسعود قال:(كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة فـــي الأيـــام كراهة السآمة علينا)[1] وذكر ابن حجر أن معنى الحديث :" كان النبي ﷺ يراعي الأوقات فـــي تذكيرهم، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل"[2]. وقال ابن حجر العسقلاني فـــي معنـــى الحـــديث: "ويستفاد من الحديث: استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح خشـــية المِـــلال، وإن كانت المواظبة مطلوبة"[3]. وقد التزم عبد الله بن مسعود ﷺ بنهج رسول الله ﷺ وسننه في وعظ الناس وتذكيرهم بمعاني الإسلام، فكان يقوم بذلك في كل خميس ولم يستجب لمن طلب منـــه أن يعظ الناس كل يوم محتجاً بسنة رسول الله ﷺ في تخولهم بالموعظة، فقد أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- عن أبي وائل قال: (كان ابن مسعود يُذكّر الناس في كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لَوددتُ أنك ذكرتنا كل يوم. قال ابن مسعود: أما إنه يمنعني من ذلك أن أملّكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[4].

سادساً: الترغيب والترهيب :

رأينا فيما سبق أنَّ سيدنا نوحاً عليه السلام رغَّب قومه في الاستجابة لدعوته بما وعـــدهم مـــن مغفرة الله لذنوبهم وبما يسبغه عليهم ربهم من نعمه في الدنيا. كما أنه عليه السلام خوّفهم من رفضـــهم دعوة الله بما يصيبهم من نقمة في الدنيا وعذاب في الآخرة. هذا المسلك في الترغيب والترهيب في الدعوة، يجب أن يأخذ به الداعي، فيُرغّب المدعوين برضـــوان الله وجناتـــه فـــي الآخـــرة وبالعيش الرضي في الدنيا إن هم أطاعوا الله، وأطاعوا رسوله، والتزموا بأحكام الشـــرع فـــي جميع أمورهم. كما يرغبهم بخيرات الدنيا إن هم أطاعوا الله ورســـوله، قـــال تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ

1- رواه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب العلم، باب(ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا)، برقم(68) (29/1).

2- العسقلاني. أبو الفضل شعاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر(ت:852هـ) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**(14مج) مكتبة الكليات الأزهرية(القاهرة) (بلا)ط : 1398هـ-1978م. ضبط أحاديثه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى محمود الهواري(256/1).

3- المصدر السابق(256/1 -257).

4- رواه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب العلم. باب(ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا).برقم(68) (29/1).

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:10 -13] فهذه الآيات فيها ترغيب بمغفرة الله، ودخول جنته في الآخرة لمن يؤمن بالله ورسوله، ويجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، وترغيب لهم أيضاً بالنصر الذي يحبونه، والفتح القريب أي العاجل. فهذه الزيادة - النصر والفتح القريب - هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله بعد أن آمن ونصر دين الله بماله ونفسه(1) ومن الترغيب بالحياة الطيبة في الدنيا وبالثواب الحسن في الآخرة قوله -تعالى- على لسان نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح:10 -12].

ويكون الترهيب بعذاب الله في الآخرة، وإهلاكهم في الدنيا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، قال تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[طه:25 -27].

سابعاً: التأكيد على عبادة الله وحده:

كان نوح يؤكد في دعوته على عبادة الله وحده ويقول لقومه: ﴿...يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ...﴾[الأعراف:59] فعلى الداعي المسلم أن لا يغفل عن التأكيد على أن الله هو المعبود الحق وأن لا اله إلا الله، والقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تأمر الناس بعبادة الله وحده وما يترتب عليها من ثواب، وما يترتب على تركها من عقاب.

ثامناً: جدال الداعي مع المخالفين :

يحتاج الداعي إلى الجدال مع المخالفين لدعوته، فعلى الداعي المسلم أن يجادلهم بالتي

---

1 - انظر. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (361/4).

هي أحسن كما جادل نوح عليه السلام قومه، وكما أمرنا الله به صراحة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل:125]. يأمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ "أي من احتاج منهم إلى جدال فليكن بالوجه الذي هو أحسن وجوه الجدل، فتجادلهم برفق ولين وحسن خطاب"[1] ﴿ إِن رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ "أي قد علم الشقي منهم والسعيد، فدعهم إلى الله تعالى ولا تذهب نفسك حسرات على من ضل منهم، فإنه ليس عليك إنما أنت نذير، عليك البلاغ وعلينا الحساب"[2].

غرض المخالف دحض الحق، وغرض الداعي هدايته:

غرض أهل الباطل في جدالهم مع الدعاة دحض الحق ورد الدعوة وصرف الناس عنها، كما كان هذا الغرضُ هو غرض قوم نوح في جدالهم معه، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[غافر:5]. وقوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ "أي جادلوا رسلهم بالباطل أي بإيراد الشبهات يحسبونها حججاً لهم، ﴿ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ أي ليزيلوا به الحق الذي جاءت به رسلهم"[3].

فهذا هو غرض أهل الباطل من جدالهم مع رسلهم، وهذا هو غرض أهل الباطل في جدالهم مع الدعاة في كل مكان وزمان إلا من رحم ربك. ومع هذا فإنَّ الدعاة يجادلونهم على أمل هدايتهم.

---

1 - المصدر السابق (592/2).

2 - المصدر السابق.

3 - الرازي.**التفسير الكبير** (30/27).

حَذَرُ الداعي من مكر المخالفين:

فعلى الداعي المسلم والجماعة المسلمة الحذر من المكر الخبيث لأهل الباطل المخـــالفين للدعوة الإسلامية، وإن على الدعاة والجماعة المسلمة إظهار اعتزازهم بأتباعهمُ المـــؤمنين، وإن كانوا ضعفاء أو مغمورين أو أصحاب حِرف بسيطة يستهين بها الناس، وإذا طلب أهل الباطـــل في جدالهم مع الدعاة أو مع الجماعة المسلمة إبعاد هؤلاء المؤمنين عنهم كشرط لإتبـــاعهم لهـــم وللدعوة، فعلى الدعاة والجماعة المسلمة رفض هذا الطلب رفضاً قاطعاً باتاً، لأنه طلـــب غيـــر قابل للمناقشة، وعلى الدعاة أن يتذكروا موقف نوح ﷺ من هذا الطلب، وقد بيناه فيمـــا ســـبق. وعلى الدعاة و الجماعة المسلمة استحضار ما أوحاه الله إلى رسولنا ﷺ بشأن أتباعه المـــؤمنين عندما طلب كبار الكفار إبعادهم عن مجلسه ﷺ، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مســـعود قال:(مرَّ الملأُ من قريش على النبي ﷺ وعنده خبّاب، وصهيب، وبلال، عمّار، وغيـــرهم مـــن ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء منَّ الله عليهم مـــن بيننـــا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هـــذه الآيـــة ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾)[1][الأنعام:52] ومعنى هذه الآية: "ولا تطرد أيها الرسول هؤلاء المؤمنين الموحـــدين الـــذين يدعون ربهم بالغداة والعشي: أي في أول النهار وآخره، أو في عامة الأوقات، لأنه يُكنى بطرفي الشيء عن جملته"[2] ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ "أي يريدون بذلك العمل وجـــه الله الكـــريم، وهـــم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات"[3]، فلا يشركون معه أحداً، ولا يرجون من غيره ثواباً. فهذا التعبير ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ يدل على الإخلاص لله تعالى فـــي العمـــل، وابتغـــاء مرضاته به وحده، وعدم الرياء فيه، كما قال تعالى حكايـــة عـــن المطعمـــين الطعـــام: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان:9]. وقوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾."أي مـــا عليـــك

---

1 - رواه أحمد. برقم(3985)، وانظر.ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت:241هـ) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**(50مج) مؤسسة الرسالة(بيروت)ط1: 1416هـ -1996م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي وإبراهيم الزيبق(92/7).

2 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(7-435).

3 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (135/2).

شيءٌ ما من أمرِ حساب هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي على دعائهم ولا غيره من أعمالهم الدينية، كما أنه ليس عليهم شيء ما من أمر حسابك على أعمالك حتى يمكن أن يترتب على هذا أو ذاك طردك إياهم بإساءتهم في عملهم، أو في محاسبتك على عملك، فإنَّ الطرد جزاء وإنما يكون على عمل سيءٍ يستوجبه ولا يثبت إلا بحساب، والمؤمنون ليسوا عبيداً للرسل ولا أعمالهم الدينية لهم بل هي لله تعالى يريدون بها وجهه لا أوجه الرسل، وحسابهم عليه تعالى لا عليهم، وإنما الرسل هداة معلمون"[1]. قوله تعالى ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ "جواب للنهي عن الطرد، أي لا تطرد هؤلاء فتكون بطردك إياهم من جنس الظالمين ومعدوداً في زمرتهم"[2].

قطع الجدال إذا انتفت فائدته:

إذا انتفت الفائدة من الجدل فعلى الداعي أن يقطعه ولا يستمر فيه، لأن الغرض من الجدل تبصير المخالف بالحق والسعي لهدايته، فإذا تبين للداعي انتفاء هذا الغرض لم يبق سبب مشروع ولا مبرر معقول للاستمرار في هذا الجدل العقيم.

ويعرف الداعي أنَّ الجدل صار بهذه الكيفية أو وصل إلى هذه الحالة بما يصرح به المخالف، أو بما تدل عليه القرائن، فمن ذلك في قصة نوح عليه السلام أنَّ قومه قالوا له: ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [هود:32]. وقولهم كما حكاه الله عنهم ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾[الشعراء:116] "أي إن لم تترك عيب ديننا وسب آلهتنا لتكونن من المرجومين بالحجارة، فعدلوا بتلك المحاورة بينهم وبين نوح عليه السلام الى التجبّر والتوعّد "[3].

قال تعالى - حكاية عما قاله قوم نوح عليه السلام:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون:25] " أي هو - بزعمهم - رجلٌ مجنون فيما يزعمه من أن الله

1 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(438/7).

2 - المصدر السابق(439/7).

3 - الشوكاني. **فتح القدير**(109/4).

أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحي ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي انتظروا بـــه ريـــب المنون واصبروا عليه مدّة حياته حتى تستريحوا منه بعد ذلك"[1].

ومن الواضح أنَّ هذه الأقوال لا تدل على أنَّ أصحابها يريدون بجدالهم مـــع نـــوح ﵇ الوصول إلى الحقيقة، ففي الآية الأولى: أظهروا مللهم من كثرة الجدال،وفي الآية الثانية: هددوه برجمه بالحجارة، وفي الآية الثالثة : رَمَوْهُ بالجنون فيما يدعيه أنه رسول الله، وطلبوا من قومهم انتظاره حتى يموت ويستريحوا منه، وهذا يدل على أن لا فائدة من التشبث بجدالهم لهدايتهم.

تاسعاً: هلاك القوم بالظلم:

ومما يستفاد من قصة نوح للدعوة والدعاة أن من أسباب هلاك الأمم الظلم، فقد أهلك الله قوم نوح بالغرق بسبب ظلمهم ولهذا قال تعالى بعد هلاكهم:﴿... وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود:44]. " أي هلاكاً وسحقاً لهم وبعداً من رحمة الله تعالى بما كان من رسوخهم في الظلـــم واستمرارهم عليه"[2]. وقال تعالى مبيناً هـــلاك قـــوم نـــوح بـــالغرق وأنـــه بســـبب ظلمهـــم: ﴿... فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت:14] والواقع أنَّ القرآن بيّن لنـــا فـــي أكثر من آية أنَّ (الظلم) سبب مُؤكد لهلاك الأمم، وأنَّ هذا الهلاك هو من مقتضيات ولوازم سُنة الله في الظلم والظالمين. ومن هذه الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ...﴾[يونس:13] "أي أهلكناهم لما كفروا وأشركوا"[3].

أعظم الظلم الكفر والشرك بالله:

إنَّ (ظلم) قوم نوح كان كفرهم وشركهم بالله، لأن (الظلم) يطلقُ عليهما، قال تعالى فـــي وصية لقمان لابنه: ﴿...يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[لقمان:13]. وإنما كان الشرك ظلماً عظيماً، لأنَّ الظلم وَضْعُ الشيءِ في غير موضعه، وقوم نوح لم يؤمنوا لنـــوح ﵇، ولم يعبدوا الله بل جعلوا عبادتهم في غير موضعها، جعلوها لمعبوداتهم التي ذكر الله لنـــا أسماءها، قال تعالى-: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ

1 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (3/ 244).

2 - المنار . **تفسير القرآن الحكيم** (80/12).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (317/8).

﴿وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾[نوح:21] "وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها مــن دون الله"[1]، وهــذا منهم ظلم عظيم لأنَّ الله وحده المستحق للعبادة، ولا يجوز ولا يتصور أن يكون غير الله معبوداً أصلاً لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الشركة مع الله[2].

من الظلم تظالُمُ الناس فيما بينهم:

هذا وإنَّ الظلم يطلق على تظالم الناس فيما بينهم، كما هو معروف، و يكون أيضاً ســبباً لنزول العذاب، وقد ذهب الإمام القرطبي في تفسيره إلى أنَّ الكفر وحده لا يؤدي إلى الهلاك إلا إذا انضاف إليه التظالم بين الناس، وإحداث الفساد في الأرض، لقولــه تعــالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾[هود:117] قال القرطبي في تفســيره هذه الآية:" ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ "أي أهل القــرى،﴿ بِظُلۡمٖ ﴾ أي بشــرك وكفر ﴿ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾ أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيــال والميــزان، وقــوم لــوط باللواط؛ ودلَّ هذا على أن المعاصي أقرب الى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب"[3]. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)[4].

ربُّنا يُمهل ولا يُهمل:

على الدعاة أن يفقهوا من قصة نوح بأنَّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، أي يمهــل الكفــرة والمعاندين لشرعه، عسى أن يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم فإنْ أصروا علــى عنــادهم وكفــرهم وعصيانهم أخذهم أَخْذَ عزيز مقتدر، وهذا ما لاحظناه في هلاك قوم نوح، فقد أمهلهم الله تعــالى

---

1 - ابن كثير . **تفسير القرآن العظيم** (426/4).

2 - انظر. الرازي. **التفسير الكبير**(142/30 -146).

3 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن الكريم**(114/9).

4 - رواه الترمذي. **سنن الترمذي**. باب(ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغير المنكر) برقم(2257)(316/3)، والبرهان فوزي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي(ت:957هـ) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**(18مج) برقم(5575) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت - شارع سوريا)(بلا)ط: 1399هـ -1979م. ضبطه ووضع فهارسه ومفاتحه: الشيخ صفوت السقا(77/3).

مئات السنين، ثم بعد ذلك أهلكهم الطوفان، وهذه هي سنته تعالى العامة في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج:41-44]. وقوله تعالى:﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ أي أخرت عنهم العقوبة، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ فعاقبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ "استفهام بمعنى التغير، أي انظر كيف كان تغيري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك"[1] .

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال:(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلته ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾)[2] [هود:102].

عاشراً: العمل الصالح وليس النسب هو وسيلة النجاة:

ذكرنا في قصة نوح عليه السلام أنه نادى ابنه أن يركب معه في السفينة، لينجو من الغرق، فرفض الابن ذلك، فدعا نوح ربه بشأنه، وأخبره الله تعالى بأنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم لكونه كافراً، وهذا يبين لنا أنَّ نسب الإنسان لا يغني عنه شيئاً إذا كان صاحبه عارياً من الإيمان والعمل الصالح، فابن نوح لا شك في رفعةِ نسبه فهو ابن نوح رسول الله، ولكن لم ينفعه شيئاً، لكونه كافراً "فالله تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، وليس بأنسابهم، ولا يحابي أحداً منهم لأجل آبائه وأجداده الصالحين، وإن كانوا من الأنبياء المرسلين"[3].

وما قلناه هو من أصول شريعتنا الإسلامية فقد أخرج الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله عنها -قالت:(لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء:214] قام رسول الله ﷺ

---

1 - القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن** (73/12).

2 - رواه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب: تفسير القرآن. باب قوله:(وكذلك أخذ ربك القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد) برقم(4686)(3/ 255-256).

3 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم** (87/12).

فقال: يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم)[1].

وفي كتاب الله إخبارٌ عن أبي لهب وأن مصيره إلى النار؛ لكفره ولم يغنِ عنه كونه عمَّ رسول الله ﷺ، فاعتبروا يا أولي الألباب.

ونستدل بقصة هلاك ابن نوح على "أن الإيمان والعمل الصالح لا علاقة لهما بالوراثة والأنساب"[2]، وإلا لكان ابن نوح مؤمناً، وإنما يكون الإيمان والعمل الصالح بكسب الإنسان وتزكية نفسه. كما ونلمح من قوله تعالى -: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾[هود:47] تسلية للخلق في فساد أبنائهم، وإن كانوا صالحين.

أحد عشر: مصاحبة المؤمنين لا تفيد إذا لم يكن المصاحب مؤمناً:

إن امرأة نوح لم تكن من أهل نوح الذين وعد الله نوحاً بإنجائهم، وإنما كانت من الذين سبق عليهم حكم الله بالغرق لكفرهم، وعلمنا ذلك بإخبار الله لنا بأن امرأته كانت من الكافرين ولذلك استحقت دخول النار، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[التحريم:10]، وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ "أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يُغني عنهم شيئاً، ولا ينفعهم عند الله تعالى إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ أي نبييْنِ رسولين كانتا عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي في الإيمان، لم توافقاهما على الإيمان، ولا صدقتاهما في الرسالة، فلم يُجْدِ ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى:﴿ فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ أي لكفرهما ﴿ وَقِيل ﴾ أي

---

1 - رواه أحمد. برقم( )انظر. ابن حنبل. **مسند الإمام أحمد**. قال عنه شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح، رجال ثقات رجال الصحيحين (494/41).

2 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم** (86/12).

للمرأتين:﴿ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ وليس المراد بقوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ في فاحشة بل في الدين، فإنَّ نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء، أما خيانة امرأة نوح، فكانت تخبر أنه مجنون، وكانت على غير دينه، وتطلع على سره، فإذا آمن أحد برسالة نوح، وأنه رسول الله، أخبرت الجبابرة من قوم نوح بإيمانه"[1].

ثاني عشر: الداعي لا يطلب مالاً على دعوته:

والداعي لا يطلب من أحد مالاً على قيامه بالدعوة إلى الله تعالى، ولا يطلب أي شيء آخر مما يمكن أن يظنه الناس عوضاً عن قيامه بالدعوة، وهذا ما أخبره به نوح قومه، قال تعالى حكاية عما قاله نوح لقومه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ...﴾ [هود:29] فقد صرح نوح لقومه بأنه لا يسألهم على ما يدعوهم إليه مالاً، فيكون متهماً فيه عندهم ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ "أي ما أجري على تبليغه والقيام بأعبائه إلا على الله الذي أرسلني به"[2]. وهذا أمر مهم على الداعي المسلم أن يتلفت إليه، ويحذر من أن يطلب من المدعوين أو من أحدٍ من الناس شيئاً لمنفعته، لئلا يُظَنَّ به أنه يتخذ الدعوة وسيلة لجرّ المنافع لنفسه. ولأهمية هذا الأمر صرّح رسل الله به، فكلهم قالوا لأقوامهم ما قاله نوح لقومه من أنهم لا يسألونهم أجراً على قيامهم بدعوتهم إلى الله تعالى. ومثاله ما قاله نبي الله هود لقومه:﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [هود:51].

وهنا يتوجب على الدولة والمسؤولين تخصيص المال للدعاة حتى يتمكنوا من القيام بواجب الدعوة.

ثالث عشر: من مهام الداعية إصلاح الأجيال.

" والمصلحون يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر ولا يهملون تأسيس أسس الأجيال الآتية إذ الأجيال كلها سواء في نظرهم الإصلاحي وهذا واضح في دعاء نوح عليه السلام: ﴿... رَّبِّ لَا

---

1 - ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** (394/4).بتصرف.

2 - المنار. **تفسير القرآن الحكيم**(65/12).

تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح:26 -27].

وقد انتزع عمر بن الخطاب ﷺ من قولـــه -تعـــالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ...﴾[الحشر:10] دلـــيلاً على إبقاء أرض سواد العراق غير مقسومة بين الجيش الذي فتح العراق، وجعلها خراجاً لأهلها قصداً لدوام الرزق منها لمن سيجيء من المسلمين"[1].

---

1 - ابن عاشور.**التحرير والتنوير**(199/29)، وانظر. أبو عبيد. القاسم بن سلام(ت:224هــ) **كتاب الأموال**(جزء واحد) دار الفكر(القاهرة) ط3: 1401هــ -1981م. تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس(ص:59 -60)، والماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي(ت:450هــ)**الأحكام السلطانية**(جزء واحد) دار الفكر(بيروت)(بلا)ط (ص:148).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

في نهاية هذا البحث أحب أن أسجل هنا أهم النتائج التي توصلت إليها:

1 - مادة (القصص) تقوم على التتبع سواء كان ماديا أو معنويا، ومنه اشتق مصطلح القصص القرآني.

2 - القصص القرآني هو: الإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة.

3 - القرآن الكريم أهتم بالقصص القرآني وأفرد له مساحة واسعة في السور والآيات ووصفه بعدة صفات، وساقه لعدة أغراض تهدف إلى تعميق الإيمان، وتهذيب النفوس، والتفكر والاعتبار، وتثبيت الفؤاد على دين الله.

4 - المصادر الموثوقة للقصص القرآني هي فقط القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أما ما سوى ذلك من الإسرائيليات فهي على أقسام، والمتسامح فيه بشأنها هو المسكوت عنه، فتجوز حكايته دون أن يصدق أو يكذب، وبشرط ألا يعتبر وجها من وجوه التفسير.

5 - القصص القرآني له أحوال ثلاثة: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل.

6 - يتميز القصص القرآني بأنه القصص الحق، وأحسن القصص، وتنوع طريقة العرض والمفاجأة وترك الفجوات ليملأها الخيال، وكذلك التصوير الفني الرائع في القرآن الكريم.

7 - أما القصص الإنساني فهو حوادث يخترعها الخيال؛ وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع؛ إنما تبسط أمامنا صورة مموهة منه؛ وغالبا ما كانت أخبارا متفرقة أو متناقضة؛ يعوزها الاتساق والربط بين أحداثها وشخصياتها؛ وترتيب هذه الأحداث.

8 - تحدث القرآن الكريم عن نبي الله نوح عليه السلام في عشر سور، وورد اسمه في القرآن ثلاثا وأربعين مرة، ندرك منها أنه رسول أمين، ونبي كريم، وداعية فذ.

9 - إن نسب نوح عليه السلام من الأمور التي لا يقطع بثبوتها. فلم يثبت في الأحاديث الصحيحة شيء عن أسماء آباء نوح عليه السلام، ولا عن سلسلة النسب بينه وبين أبيه آدم عليه السلام .

10 - كفر زوجة نوح عليه السلام، وأحد أبنائه، وقد نص القرآن الكريم على كفرهما.

11 - خيانة امرأة نوح عليه السلام، كانت في الدعوة وليست خيانة في الفاحشة.

12 - عصمة زوجات الأنبياء من الوقوع بالفاحشة، وهذه العصمة ضمنية وليست تصريحية.

13- الراجح في ابن نوح عليه السلام أنه من صلبه؛ لأن القرآن نص على ذلك، فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقرينة ولا يوجد قرينة.

14- أهمية البيئة الصالحة للإنسان؛ حيث يكون لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته، وصقل عقله، وتهذيب نفسه، وتشكيل مواهبه؛ خاصة في المراحل الأولى من حياته.

15- إن رواية التوراة عن الطوفان، متهافتة، وغير متماسكة، ولا تتفق مع مكتسبات المعرفة الحديثة، بعكس الرواية القرآنية الخالية من كل ما يثير النقد الموضوعي.

16- عمر نوح عليه السلام كان على ثلاث مراحل: ما بين ولادته ونبوته، وما بين نبوته والطوفان، وما بين نزوله من السفينة إلى وفاته. أما المرحلة الأولى والثالثة فلم يخبرنا الله عنها، ولم تثبت في صحيح الأخبار، فلا نعرف شيئا عن مكان ولادته ولا عن عمره يوم مبعثه، ولا عن وفاته وكيفية دفنه، ولا عن المكان الذي دفن فيه.

17- خصائص نوح عليه السلام كثيرة، منها: أنه من أولي العزم، ومستجاب الدعوة، وقدوة الأنبياء، وعبدٌ شكورٌ، ومن المحسنين.

18- المؤمن يؤمن برسل الله جميعا لأنهم حملة رسالة واحدة هي التوحيد.

19- الراجح في مدة القرن هي مئة سنة؛ وهذا المعنى هو الذي يتبادر للذهن عند كثير من الناس.

20 إن أسس رسالات الرسل ومبادئ دعوتهم واحدة ؛ لأنهم رسل مرسل واحد، فلا خلاف في العقائد ، ولا خلاف في روح العبادات التي أمروا بها .

21 أمة - محمد عليه الصلاة والسلام - أمة الشهادة ، فهي تشهد لنوح عليه السلام بتبليغه قومه.

22- الإسلام أول دين على وجه الأرض ، والشرك هو الطارئ والشاذ على البشرية بعد ذلك.

23- إصرار قوم نوح على الكفر ، والتكذيب ، وإثارة الشبهات ، ومن هذه الشبهات :

أ- كونه من البشر. ب- النبي لابد وأن يكون ملكا . ج- أتباع نوح هم الأرذلون.... إلى آخر هذه الشبه والافتراءات.

24- سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة سنة مطردة، وإن الظلم سبب مؤكد لهلاك الأمم.

25- كل ما يتعلق بالسفينة مبهم في الكتاب والسنة، لم تبينه الآيات والأحاديث الصحيحة، وكل ما ورد عنها فهو من الإسرائيليات ومعرفة التفصيلات عنها لا فائدة منها ولا يتعلق بمعرفتها حكمٌ شرعي.

26- الراجح في معنى التنور، أنه المكان الذي يخبز فيه؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله يحمل على الأغلب الأشهر.

27- الراجح في عموم الطوفان؛ أنه لم يكن عاما ولا شاملا للأرض، إنما كان عاما وشاملا لقوم نوح فقط، أما أجزاء الكرة الأرضية الأخرى فلا يدل نص قاطع في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف على تغطيتها بالطوفان.

28- إن نبينا نوحا ﷺ سلك في دعوته - التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما - قومه إلى الله تعالى - أساليب متعددة آملا من وراء ذلك أن يستجيبوا له، ومع ذلك كله ما آمن معه إلا قليل.

29- ومن الدروس والعبر التي نستفيدها من قصة هذا النبي العظيم، والداعية القدوة :

1. دلالة قصة نوح على مصدر القرآن.
2. التلطف مع المدعوين.
3. الشفقة على المدعو والنصح له.
4. التبليغ بالكلام المبين.
5. الدعوة إلى الله في كل وقت ملائم.
6. التأكيد على عبادة الله وحده.
7. استخدام أسلوبي الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله.
8. هلاك القوم بالظلم.
9. العمل الصالح وليس النسب هو وسيلة النجاة.

وقبل أن أضع القلم: أتوجه إلى الله وحده بهذا العمل، وأرجو أن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأعوذ بالله من فتنة القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أولا : فهرس الآيات

17		وَٱلله يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ...	67	37
18	الأنعام	وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ ...	9	73
19		وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ...	52	112
20		وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ...	86- 84	57- 56
21		أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ...	90	105
22	الأعراف	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ...	34	79
23		لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ...	59	- 59- 51 - 93- 61 - 98- 94 110- 99
24		قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ	60	- 70- 69 106- 73
25		قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ...	61- 60	94
26		قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٌ ...	62- 61	- 70- 51 106
27		أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٌ مِّن ...	63	73- 71
28		وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ...	64	66
29		وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًا ...	65	61
30		وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا ...	73	61
31		وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ ...	80	62

32		وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا ...	85	62
33		وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ ...	96	63
34		وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ...	130	101
35		وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ ...	167	17
36		فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ ...	176	13- 2
37	**الأنفال**	وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ...	25	91
38	**يونس**	وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن ...	13	114- 79
39		فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ ...	73	87- 86
40	**هود**	وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ...	25	51
41		وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ...	26- 25	59
42		فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...	27	- 71- 69 76- 74
43		قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ ...	28	72
44		وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ...	29	118
45		وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ...	31- 29	96
46		قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا ...	32	113- 69
47		وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ ..	34	102
48		وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن ...	36	- 89- 80 102

81- 80	37	وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا .		49
81	38	وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ ...		50
81	39- 38	فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ ...		51
- 37- 29 - 41- 38 - 83- 80 101- 88	40	حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ...		52
85	41	ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا...		53
84	41- 40	حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ...		54
64	42	وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٍ ...		55
86	42- 41	وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٍ ...		56
87	43- 42	وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٍ ...		57
32	44- 42	وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٍ ...		58
37	43	فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ		59
- 39- 33 - 87- 79 114	44	وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ		60
34	45	وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ ..		61
88	47- 45	وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ ..		62
89- 34	46	قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ ...		63
117- 89	47	قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ ...		64

90	48	قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ ...		65
105- 15	49	تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ...		66
51	51	يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ...		67
116	102	وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ		68
115	117	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ...		69
- 14- 2 105- 26	120	وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ...		70
19- 4	3	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ...	**يوسف**	71
101	47	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ...		72
101	49	ثُمَّ يَأْتِي مِنْۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ		73
102	103	وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ ...		74
- 12- 2 - 19- 14 61- 26	111	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ...		75
16	17	كَذَٰلِك يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ ...	**الرعد**	76
107	4	أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ ...	**إبراهيم**	77
61	9	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن ...		78
9	25- 24	ضَرَب ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...		79

16	9	إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ...	الحجر	80
9	50- 49	نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ...		81
10	66- 61	فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ		82
81	14	وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ...	النحل	83
59- 8	36	وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ...		84
111- 106	125	ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ..		85
48	3	إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا ...	الإسراء	86
56	17	وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ ...		87
16	88	قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ ...		88
21	18	قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ...	مريم	89
21	19	قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ ...		90
21	23	فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ..		91
21	24	فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي ...		92
56	74	وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ ...		93
110	27- 25	قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي...	طه	94
116	44- 41	وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ .	الحج	95
13	46- 45	فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ...		96
11	78	وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ		97

98	المؤمنون	وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ..	23	59- 51
99		وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ..	25- 23	77
100		إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ ...	25	113
101		فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...	24	73- 64
102		فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...	25- 24	71
103		قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا ...	26	83
104		ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ...	31	56
105	النور	ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ...	3	36
106		ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ ...	26	36
107	الفرقان	وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ...	5	11
108		قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ ...	6	11
109		وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ...	28	56
110	الشعراء	وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ ...	84	12
111		كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ...	105	54
112		إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ ...	106	93
113		إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ...	107	51
114		قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ...	111	75- 74
115		قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ...	114- 111	71

116		قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ ...	116	113- 78
117		قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ...	118- 117	83
118		فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ..	120- 119	86
119		وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ...	214	117
120	**القصص**	فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ...	25	19
121	**العنكبوت**	وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ	14	- 42- 2 - 51- 44 114- 79
122		وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ	15- 14	100
123		فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ...	15	82
124		وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ...	18	107
125	**لقمان**	يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ...	13	114
126		وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ...	20	11
127	**الأحزاب**	وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...	7	47- 45
128	**سبأ**	وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ...	13	102
129		قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ...	46	13
130	**يس**	وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ...	41	81
131		وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ	42	82
132	**الصافات**	وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ...	76- 75	83

133		وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعۡمَ ...	75 -79	46
134		وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ	76 -77	37
135		وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ	78 -79	24
136		إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ...	80	47
137		إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ...	81	47
138		وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ ...	83	47
139		وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم ...	137 -138	13
140	**غافر**	كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ ...	5	111
141	**فصلت**	لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ	42	42
142	**الشورى**	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا ...	13	45 -58 - 60
143	**الذاريات**	وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ....	37	83
144	**القمر**	كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ ...	9	65 -66
145		فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٌ	10	83
146		فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ...	10 -12	84
47		وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٍ ...	13	82
148		تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءً ...	14	64
149		وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً ...	15	82
150	**الحديد**	وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا وَإِبۡرَٰهِيمَ ...	26	51

119	10	وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ...	الحشر	151
110-109	13-10	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ ..	الصف	152
-31-30 117	10	ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ...	التحريم	153
82	12	فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ...	الحاقة	154
11	4	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ...	القلم	155
-52-51 -97-93 98	1	إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ...	نوح	156
94	2-1	إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ...		157
107	2	يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ		158
99	3-2	قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ...		159
96	4-2	قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ...		160
108	5	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي...		161
67	7	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ		162
95	9-5	قَال رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلاً .		163
110-97	12-10	فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ...		164
98	13	فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ...		165

166		مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ ...	14- 13	99
167		أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ ...	20- 15	99
168		قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ...	21	115
169		وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ....	23	64- 39
170		وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ ...	24- 22	65
171		مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ.	25	86
172		مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ.	28- 25	103
173		رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ	28	38- 29
174		رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ ...	26	- 46- 35 80
175		رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ ...	27- 26	- 83- 64 119
176	**الإنسان**	إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا ...	9	112
177	**الأعلى**	إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ...	18- 19	9

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث

116	إن الله ليملي للظالم حتى إذا	21
117	يا فاطمة ابنة محمد	22

ثالثاً: فهرس الأعلام الهامة

الرقم	اسم العلم	رقم الصفحة
1	ابن الأثير	28
2	ابن الجوزي	95 -45 -43 -28
3	ابن العربي	53 -52 -50 -45
4	ابن القيم	32 -31
5	ابن تيمية	60 -19
6	ابن حنبل	117 -112 -38 -37 -12
7	ابن سعد	48
8	ابن عادل	102 -97 -96 -95
9	ابن عاشور	119 -84 -82 -69 -68 -66 -42
10	ابن عطية	57 -46
11	ابن فارس	7
13	ابن كثير	- 95 -93 -88 -78 -76 -74 -73 -72 -71 -56 -55 -28 118 -115 -114 -110 -105 -98
14	ابن منظور	84 -28 -7
15	أبو السعود	47
16	أبو خليل	40
17	أبو عبيد	119
18	آل نوفل	15
19	الأثري	55 -48
20	الأخفش	98
21	الأشقر	22
22	الأصفهـــاني	82 -70 -55 -12
23	الآلوسي	91 -79 -76 -66 -49 -36
24	الأندلسي	96 -81 -80
25	الباقلاني	24
26	البخاري	116 -109 -108 -82 -63 -56 -53 -50 -39 -28 -12
27	البدوي	24

28	البغدادي	12
29	البلتاجي	34
30	البيضاوي	45- 43
31	البيهقي	49
32	الترمذي	115- 108- 107
33	الثعلبي	12
34	الجرجاني	54
35	الجصاص	34
36	الجوهري	7
37	الحاكم	55- 54- 49- 42- 30
38	الحموي	39
39	الخازن	70- 47
40	الخالدي	102- 93- 85- 70- 60- 53- 50- 40- 29- 20- 19- 15
41	الخطابي	24
42	الخولي	20
	الذهـــبي	44
43	الرازي	- 80- 74- 72- 69- 67- 57- 49- 48- 47- 43- 37- 36 - 111- 101- 100- 98- 96- 90- 89- 86- 85- 81 115- 112
44	الزبيدي	7
45	الزجاج	19
46	الزحيلي	99- 91- 82- 67- 66- 54- 46- 30
47	الزمخشري	96- 91- 66- 54- 48- 43
48	الزنداني	100
49	السعدي	102
50	السمعاني	48
51	السمين الحلبي	101- 95
52	السيوطي	105- 54- 37- 31
53	الشبلي	12

54	الشعراوي	90
55	الشنقيطي	99
56	الشوكاني	113- 31
57	الصابوني	107- 105- 90- 83
58	الطبري	101- 96- 90- 85- 57- 46- 37- 31- 28
60	العسقلاني	109
61	الغزالي	97
62	الفاخوري	23
63	الفراء	95
64	الفيروز أبادي	96- 7
65	القاسمي	96- 94- 52
66	القرضاوي	93
67	القرطبي	- 66- 61- 58- 52- 50- 49- 45- 40- 32- 30- 29- 28 - 84- 81- 80- 79- 78- 77- 76- 75- 74- 69- 68- 67 116- 115- 114- 106- 99- 97- 89- 88
68	القشيري	98
69	القطان	7
70	الكسائي	47
71	الكلبي	48
72	الماوردي	119
73	المبارك فوري	107
74	المسعودي	28
75	الميداني	59- 57
76	النجار	36
77	النحاس	29
78	النسفي	97
79	النووي	108
80	الهاشمي	8
81	بوكاي	90- 42- 40

82	جاد المولى	74
83	حجازي	70
84	حوى	105- 62
85	خلف الله	25- 23
86	رضا	- 93- 89- 80- 79- 77- 76- 74- 72- 71- 67- 57 118- 117- 116- 114- 113- 112- 105
87	زيدان	93- 62
88	سابق	60
89	شلتوت	62
90	صقر	93
91	طبّارة	91- 90- 25- 8
92	عباس	103- 100- 93- 91- 90- 40- 29- 23- 8
93	عبد العزيز	97
94	علوان	93
95	عمارة	107- 98- 93
96	عمرو خالد	101
97	قطب	- 85- 68- 67- 65- 62- 55- 52- 34- 32- 20- 19- 10 103- 100- 93- 92- 88- 87
98	متولي	99
99	مسلم	108- 103- 60- 56- 53- 50
100	نجم	23
101	هـــلال	23

.

1. ابن الأثير.أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. **الكامل في التاريخ**. دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1403هـ-1983م. مراجعة وتعليق: نخبة من العلماء.

2. ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. دار الكتب العلمية(بيروت). ط1: 1412هـ- 1992م. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا+ مصطفى عبد القادر عطا، راجعه: نعيم زرزور.

3. ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. **زاد المسير في علم التفسير**. دار الكتب العلمية(بيروت). ط1: 1414هـ -1994م.

4. ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله. **أحكام القرآن**. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط.

5. ابن تيمية. تقي الدين أحمد الحرّاني. **جواب أهل العلم والإيمان**. دار القاسم (الرياض). ط1: 1417هـ- 1996م. تحقيق: عبد العزيز بن فتحي بن السيد ندى.

6. ابن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني. **مسند الإمام احمد بن حنبل**. مؤسسة الرسالة (بيروت). ط1: 1421هـ-2001م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

7. ابن سعد. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري. **الطبقات الكبرى**. دار الكتب العلمية (بيروت). ط1: 1410هـ- 1990م. دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا.

8. ابن عادل. أبو حفص. عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. **اللباب في علوم الكتاب**. دار الكتب العلمية(بيروت). ط1: 1419هـ-1998م. تحقيق: عادل أحمد بن الموجود + علي محمد معوض.

9. ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر . **التحرير والتنوير**(30مج) مؤسسة التاريخ (بيروت) ط1: 1420هـ-2000م

10. ابن عطية. المحرر الوجيز

11. ابن فارس. أبو الحسين احمد. **معجم مقاييس اللغة**. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البـــابي الحلبي وأولاده(مصر). ط2 :1392هـــــ - 1972م. تحقيق وضبط عبـــد الســـلام محمـــد هـــارون.

12. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. **البداية والنهـــاية**. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط: 1402هـــــ 1982م.

13. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. **قصص الأنبيـــاء**. دار الجيـــل (بيـــروت). ط3 :1405ه - 1985م. تحقيق : د.السيد الجميلي.

14. ابـــن منظـــور.أبـــو الفضـــل جمـــال الـــدين محمـــد بـــن مكـــرم.**لســـان العـــرب**. دار صادر(بيروت)ط1410:1هـــ -1990م.

15. أبو السعود. محمد العمادي الحنفي. **تفسير أبي السعود**. دار الفكـــر(بيـــروت). (بـــلا) ط: 1402هـــــ - 1982م.

16. أبو خليل. شوقي. **أطلس القرآن**. دار الفكر المعاصـــر(بيـــروت)، ودار الفكـــر(دمشـــق). ط1: 1423هـــــ - 2002م.

17. أبو عبيد. القاسم بن سلام. **كتاب الأموال**. دار الفكر(القـــاهرة) ط3: 1401هـــــ -1981م. تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس.

18. آل نوفل. حمدي بن محمد نور الدين. **قصص القرآن**. مكتبـــة الصـــفا - مكتبـــة المـــورد (القاهـــرة). ط1: 1423هـــ - 2002م.

19. الأثري. أبو أسامة سليم بن عيد الهـــلالي. **صحيح قصص الأنبياء**. من منشورات الـــدعوة السلفية. (بلا) ط.

20. الأخفش. أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلّخي البصريّ. **معاني القرآن**. الصفاة(الكويت)ط2: 1401هـ -1981م. تحقيق: د.فائز فارس.

21. الأشقر. عمر سليمان عبد الله. **صحيح القصص النبوي**. دار النفائس(عمان). ط2 : 1418هـ 1997م.

22. الأصفهاني. أبو نعيم احمد بن عبد الله. **حلية الأولياء**. دار الفكر(بيروت).

23. الأصفهاني. الراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**. دار القلم(دمشق)، والدار الشامية (بيروت). ط1: 1412هـ - 1992م. تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

24. الألباني. محمد ناصر الدين. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها**. مكتبة المعارف. (بلا) ط:1415هـ -1995م.

25. الآلوسي. أبو الفضل محمود شكري. **روح المعاني**. دار التراث (القاهرة). (بلا) ط.

26. الباقلاني. أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**

27. البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي. **صحيح البخاري**. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط:1419هـ - 1998م. تحقيق: عبد العزيز بن باز.

28. البخاري.أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي. **التاريخ الكبير**. دار الكتب العلمية(بيروت)(بلا)ط: 1407هـ -1986م.

29. البدوي. احمد احمد، **من بلاغة القرآن** (بلا)ط .

30. البرهان فوري. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت - شارع سوريا). (بلا) ط: 1399هـ -1979م. ضبطه ووضع فهارسه ومفاتحه: الشيخ صفوت السقا .

31. البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. دار الكتب العلمية(بيروت) . ط1: 1417هـ -1997م. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

32. البلتاجي. محمد الأنور أحمد. **من وصايا القرآن الكريم**. دار التراث العربي(بيروت) ط2: 1405هـ - 1985م.

33. البيضاوي. أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي**. دار الجيل. (بلا) ط.

34. الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. **سنن الترمذي**. دار الفكر(بيروت). ط2 :1403هـ -1983م. حققه وصححه:عبد الرحمن محمد عثمان.

35. الثعلبي. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. **عرائس المجالس**. المكتبة الثقافية (بيروت). (بلا) ط.

36. الجصّاص. أبو بكر أحمد بن علي الرازي. **أحكام القرآن**. دار إحياء التراث العربي(بيروت)ط1: 1405هـ -1985م. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

37. الجوهري. ابو نصر إسماعيل بن حمّاد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1420هـ -1999م. تحقيق: د. ايميل بديع يعقوب ود.محمد نبيل طريفي.

38. الحموي. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. **معجم البلدان**. دار صادر(بيروت). (بلا) ط.

39. الخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**. دار المعرفة (بيروت). (بلا) ط.

40. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **البيان في إعجاز القرآن**. دار عمار(عمان). ط3: 1413هـ - 1992م .

41. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **القصص القرآني عرض وقائع وتحليـــل أحـــداث**. دار القلـــم (دمشق). ط1: 1491هــ - 1998م.

42. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **مع قصص الســابقين فـــي القـــرآن**. دار القلـــم (دمشـــق). ط4: 1425هــ - 2004م.

43. الخالدي. صلاح عبد القتاح. **المنهج الحركي فـــي ظـــلال القـــرآن**. دار المنـــارة(جـــدة) ط1: 1406هــ -1986م.

44. الخولي. البهي. **تذكرة الدعاة**. مكتبة دار التراث(القاهرة) ط8: 1408هــ -1987م.

45. الذهــبي.أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. **سير أعـــلام النـــبلاء**. مؤسســـة الرســـالة (بيروت). ط1: 1403هــ -1983م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط +إبراهـــيم الزيبق .

46. الرازي.أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي الطبرستاني. **التفسير الكبير**. دار الكتب العلمية(طهـــران). ط2 .

47. الزبيدي. محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي. **شرح القـــاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الفكر(بلا)ط.

48. الزجاج. أبو إسحاق إبراهـــيم بن السري. **معاني القرآن وإعرابه**. عالم الكتـــب(بيـــروت). ط1: 1408هــ -1988م. تحقيق: د. عبد الجليل عبدو شلبي.

49. الزحيلـــي. وهـــــبة الزحيلـــي. **التفســـير الوســـيط**. دار الفكـــر المعاصـــر (بيـــروت) دار الفكر(دمشق). ط1: 1422هــ - 2001م.

50. الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. مكتبة ومطبعة مصطفى البـــابي الحلبـــي (القاهـــــرة). ط الأخيرة: 1392هـــــ - 1972م.

51.الزنداني. عبد المجيد عزيز. **توحيد الخالق**. مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت) ط4: 1411هـ -1991م.

52.السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. دار الفجر للتراث(القاهرة) ط1: 1424هـ -2003م. تقديم: محمد بن صالح العثيمين.

53.السمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. **الأنساب**. دار الجنان (بيروت). ط1: 1408هـ - 1988م. تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي.

54.السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**. دار المعرفة(بيروت)ط4: 1398هـ -1978م.

55. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور في التفسير المأثور**. دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1411هـ -1990م.

56.الشعراوي. محمد متولي. **المنتخب من تفسير القرآن الكريم**. دار النصر(بيروت) (بلا)ط.

57. الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. عالم الكتب(بيروت) (بلا)ط .

58. الشوكاني. محمد بن علي بن محمد. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. دار إحياء التراث العربي (بيروت). (بلا) ط.

59.الصابوني. محمد علي. **صفوة التفاسير**. دار الصابوني(القاهرة). ط9: 1396هـ -1976م.

60.الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك**. دار الكتب العلمية(بيروت) : 1417هـ 1997م.

61.العسقلاني. أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر. **فتح الباري بشـــرح صحيح البخاري**. مكتبة لكليات الأزهرية(القاهرة). (بلا) ط: 1398هـــ-1978م. ضـــبط أحاديثه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد+ مصطفى محمود الهواري .

62.الغزالي. محمد. **مع الله**. المكتبة الإسلامية. ط5: 1401هـ-1981م.

63.الفاخوري. حنا. **الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم**. دار الجيل (بيروت). ط2: 1995م.

64.الفرّاء. أبو زكريا يحيى بن زياد . **معاني القرآن**.عالم الكتب(بيروت)ط2: 1980م.

65.الفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. المكتبة العلمية(بيروت) (بلا)ط. تحقيق: عبد العليم الطحاوي.

66.الفيروز آبادي.مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. دار الجيل(بلا)ط .

67.القاسمي. محمـــد جمـــال الـــدين القاســـمي. **محاســـن التأويـــل**. دار الفكـــر(بيـــروت). ط2 :1398هـــ 1978م. تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

68. القرضاوي. يوسف عبد الله. **خطابنـــا الإســـلامي فـــي عصـــر العولمـــة**. دار الشـــروق (القاهرة). ط1: 1424هـ -2004م.

69. القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. **الجـــامع لأحكـــام القـــرآن**. دار الفكـــر (بيروت). ط2: 1372هـ 1952م. تصحيح أحمد عبد العليم البردونـــي، وتحقيـــق أبـــو إسحاق إبراهـــيم اطفيش.

70.القشيري. أبو قاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. **تفسير القشيري المسمى لطـــائف الإشارات**. دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1420هـ-2000م. تعليق: عبد اللطيف حســـن عبد الرحمن.

71. القطان. مناع. **مباحث في علوم القران**. مؤسسة الرسالة (بيـــروت). ط9: 1400هـــــ - 1980م.

72.الكتاب المقدس(أي العهد القديم والعهد الجديد). سفر التكوين. الإصـــحاح الســـابع: دار الكتاب المقدس(في الشرق الأوسط) (بلا)ط 1996م.

73.الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيـــب البصـــري البغـــدادي. **الأحكـــام الســـلطانية**. دار الفكر(بيروت)(بلا)ط .

74.المباركفوري. أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. **تحفة الأحوذي بشـــرح جـــامع الترمذي**. دار الفكر(بيروت). ط3: 1399هـــ-1979م. ضبطه وصححه: عبـــد الـــرحمن محمد عثمان.

75. المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. **مروج الذهـــب ومعادن الجوهـــــر**. دار القلم (بيروت). ط1: 1408هـــ - 1989م. تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي.

76.المنار.محمد رشيد رضا. **تفسير القرآن الحكيم الشـــهير بتفســـير المنـــار**. دار المعرفـــة (بيروت) ط2.

77. الميداني. عبد الرحمن حسن حبنكة. **العقيدة الإســـلامية وأسســـها**. دار القلـــم (دمشـــق). ط2: 1399هـــ-1979م .دار الكتاب العربي (بيروت). (بلا) ط :1406هـــ -1985م.

78.النجار.عبد الوهـــاب. **قصص الأنبياء**. دار التراث العربي(بيروت). ط3 .

79.النحّاس. أبو جعفر أحمد بن إسماعيل. **إعراب القران**. عالم الكتب ومكتبـــة النهضـــة.ط1. تحقيق: زهير غازي زاهر.

80. النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. **تفسير النسفي المسمى بمدالك التنزيـــل وحقائق التأويل**. دار الفكر(بلا)ط.

81.النووي. أبو زكريا محي الدين بن شرف. **رياض الصالحين من كلام سيد المرسـلين.** دار الجيل(بيروت) تقديم: د. محمد جميل غازي.

82.الهاشمي. أحمد. **جواهر الأدب.** دار الفكر. ط:1.

83.بوكاي. موريس. **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.** دار المعارف(لبنـان) ط4: 1977م.

84.جاد المولى. محمد أحمد. **قصص القرآن.** دار النصر(دمشق - بيروت) ط1: 1404هـ - 1984م.

85.حجازي. محمد محمود. **التفسير الواضح.** دار الجيل(القاهرة)ط6: 1389هـ -1969م.

86.حوى. سعيد. **الأساس في التفسير.** دار السلام (القاهـرة). ط1 :1405ه -1985م.

87.خالد. عمرو.**قصص الانبياء.** دار المعرفة(بيروت) ط1: 1427هـ -2006م.

88.زيدان. عبد الكريم. **أصول الدعوة.** ط3: 1396هـ -1976م.

89. زيدان. عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسـلامية.** مؤسسة الرسالة(بيروت). ط3 : 1414ه -1994م.

90. زيدان. عبد الكـريم. **المسـتفاد مـن قصـص القـرآن للـدعوة والـدعاة.** مؤسسـة الرسالة(بيروت). ط1: 1421هـ -2000م.

91.سابق. سيد سابق. **العقائد الإسلامية.**

92. شلتوت. محمود. **تفسير القرآن الكريم.** دار الشروق. ط5 :1973م.

93.صقر. عبد البديع، **كيف ندعو الناس.** مكتبة وهبة(القاهرة). ط10: 1410هـ -1990م.

94.طبّارة.عفيف عبد الفتاح. **مع الأنبياء في القرآن الكريم**. دار العلــم للملايــين (بيــروت). ط17: 1989م.

95. عباس. فضل حســن. **القصــص القرآنـــي إيحـــاؤه ونفحاتـــه**. دار الفرقـــان (عمـــان). ط1: 1407هـــ - 1987م.

96. عباس. فضل حسن. **قصص القرآن الكـــريم**. دار الفرقـــان(عمـــان). ط1: 1420 هـــــ - 2000م.

97.عباس. فضل حسن+ سناء فضل حسن. **إعجاز القرآن الكـــريم**. دار الفرقـــان (عمـــان). (بلا) ط:1412هـــ -1991م .

98.علوان. عبد الله ناصح. **كيف يدعو الداعية**. دار السلام. ط1: 1405هـــ - 1985م .

99.عمارة. محمود محمد. **فقه الدعوة من قصة موسى**عليه السلام. مكتبة الإيمان(المنصـــورة). ط1: 1417هـــ -1997م.

100. قطب. سيد إبراهيم. **التصوير الفني فـــي القـــرآن**. دار الشـــروق. ط8: 1403هـــــ 1983م.

101. قطب. سيد إبراهيم. **في ظلال القرآن**. دار الشروق(بيروت). ط9: 1400هـــ - 1980م.

102. متولي. أحمد مصطفى. **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبويـــة**. دار ابن الجوزي(القاهرة) ط1: 1426هـــ -2005م.

103. مسلم. أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. دار إحيـــاء الكتـــب العربية. (بلا) ط: 206 -261هـــ . صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي .

104. نجم. محمد يوسف. **فن القصة**. دار بيروت (بيروت). ط2: 1956م.

105. هــلال. محمد غنيمي. **النقد في الأدب الحــديث**. دار نهـــضة مصــر (القاهـــرة). (بلا) ط: 1996م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Noah_ Peace Be Upon Him_ In The Holy Quran

Submitted By:

Hasan Mohammad zaghal

Supervisor:
Dr. Mohsen S. Al-khaldy

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Master degree of Islamic law (Shari'a) in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate Studies, at An- Najah National University, Nablus, Palestine.

2008

Noah_ Peace Be Upon Him_ In The Holy Quran

Submitted By:

Hasan Mohammad zaghal

Supervisor:
Dr. Mohsen S. Al-khaldy

Abstract

Noah-Peace be upon him- is God’s first messenger sent to people on earth after Adam- Peace be upon him-[1]. God sent him to his people to order them to worship God only and give up worshiping anything else of statues and other. He also feared them of God’s torture if they diverge and not believe in him.

But they insisted on their disbelief.

Noah-Peace be upon him- stayed with his people one thousand year less than fifty. He celled unto them day and night, in secrelly and openly and they argued each other. Nevertheless, only a few of his people believed. God-Almighty-told him that there would be no more believers.

At that time Noah called down evil upon them. God told us about Noah's call:﴿ And Noah said:" My Lord! Leave no one of the disbelievers on the earth! ﴿26﴾ “If you leave them, they will mislead your slaves, and they will beget none but wicked disbelievers” ﴿27﴾ [Noeh:26-27].

Ibin katheer said" And indeed Noah called down evil upon them- because of his experience with them-his people. And because he stayed with them

thousand years less than fifty(2). Al-Qortobi quoted from Al-Dhahhak that God-Al-Mighty-told Noah- peace be upon him-that there will be no more believers but those who had already believed. So Noah-Peace be upon him-called down evil upon them(3). God-AL-Mighty-responded to Noah's call and order him to build a ship. When he finished that mission and their destruction by sinking approached, God ordered him to carry in it of what God has told us.

God said:﴿ (So it was) till then there came Our Command and the oven gushed forth(water like fountains from the earth).We said:" Embark therein, of each kind two(male and female),and your family, except him against whom the Word has already gone forth, and those Who believe. And none believed with him, except a few." [Hûd:40].

Thus, God destructed them by sinking after He gave them that long period of time because God's mill grinds slow but sure.

This is the punishment of tyranists and atheists.

References

1- Ibn katheer : interpretation of the great kor'an p-223/2 .

2- The previous reference p-427/4 .

3- AL-Qortobi : The inclusive for kor'an rules .